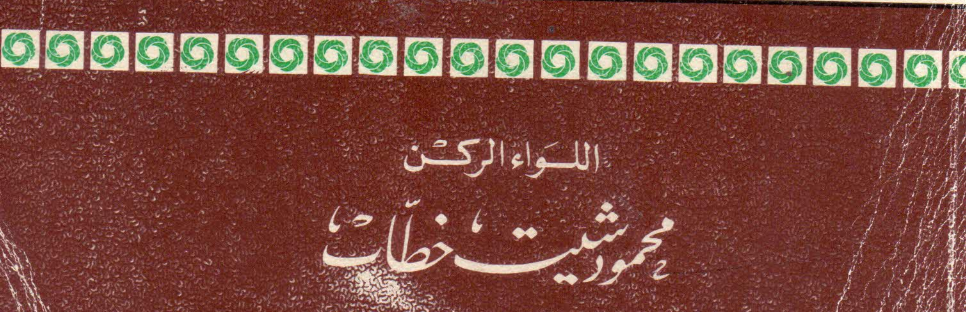


٣

العسكرية العربية الإسلامية





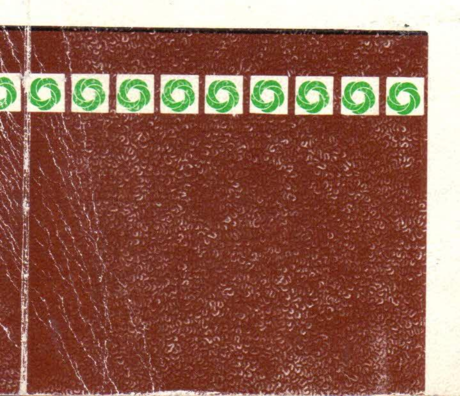
محمود شيت خطاب

- من مواليد الموصل في العراق عام ١٩١٩م .
- لـواء ركن .
- تقلد عدداً من المناصب العسكرية والوزارية في بلاده .
- اشترك في عدد من المؤتمرات العربية والإسلامية .
- تبلغ مؤلفاته نحو ١٢٦ كتاباً ، وبحثاً .
- قام برحلات إلى البلاد العربية .. وأوروبا .. والهند .. وباكستان .
- رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، ورئيس لجنة مباحث القرآن الكريم في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .
- عمله الحالي عضو المجمع العلمي العراقي ، وأستاذ غير متفرغ في الدراسات العسكرية العليا في العراق ، والبلاد العربية .

■ إن العقيدة العسكرية الغربية تسود قسماً من القوات العربية الإسلامية ، وتسود قسماً آخر منها العقيدة العسكرية الشرقية ، وتسود القسم الثالث العقيدة العسكرية الغرابية ....

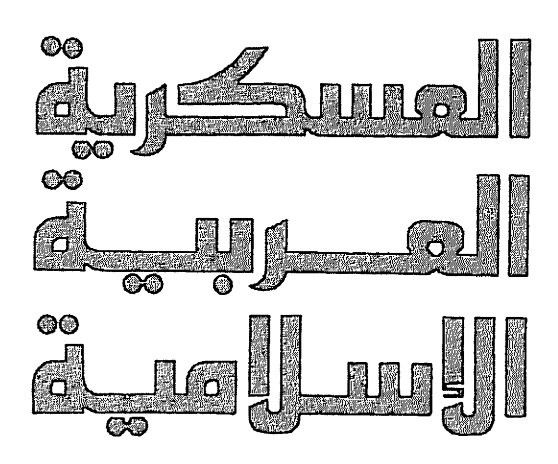
■ العقيدة العسكرية الإسلامية غائبة غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية الإسلامية ، مجهولة جهلاً كاملاً في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية ...

■ لماذا العقيدة العسكرية الإسلامية وحدها تناسب العرب والمسلمين ، وتقودهم إلى النصر .. ولا تناسبهم العقيدتان العسكريتان الغربية والشرقية وتقودهم إلى الاندحار ؟



مطابع الدوحة الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم



عقيدة وتاريخًا، وقادة وتراثًا، ولغة وسلاحًا

اللواء الركن

محمود شيت خطّاب

الطبعة الأولى



سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، في دولة قطر.

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأي مؤلفيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

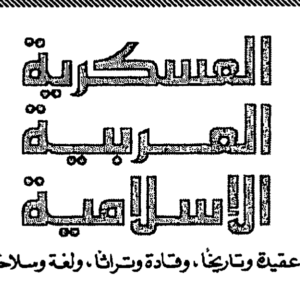
وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ
وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

الأنفال - ٦٠ -

الإهداء

إلى سيف الله خالد بن الوليد

محمود شيت خطاب



صفر الخير ١٤٠٣ هـ.

تقديم

بقلم : عمر عبيد حسنة

■■ إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلّــه إلا الله وحده لا شــريك له ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، أمّا بعــد :

فإن قضية الصراع بين الخير والشر ، والحق والباطل سنة من سنن الحياة ، وهي قديمة قدم الخلق .

قال تعالى :

﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّـاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُـرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٤٠) ، وأن البقـاء للأصلح ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـالِحُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) .

هؤلاء الصالحون هم الذين يمتلكون العقيدة الصحيحة ، ويلتزمون بها فتجعل منهم أناساً قادرين على عمارة الأرض ، وقيادة الحضارة ، يضعون عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، إنهم ورثة الأنبياء ، والصراع بين الحق والباطل أخذ أشكالاً متعددة ، وكانت ميادينه مختلفة ، فهو صراع على مستوى الفكر والثقافة والحضارة والسياسة والتربية والاقتصاد والإعلام . . إلخ ، وقد يبلغ الذروة فيأخذ شكل المعارك العسكرية ، فيكون آخر الدواء الكي .

ومن هنا كان لزاماً على أهل الحق الذين يسيرون على قدم النبوة باعتبارهم مستهدفين لما يحملون من حق يكشفون به الباطل ويفضحون أهله ، أن يكونوا آخذين حذرهم ، لا يغفلون عن عدوهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (البروج : ٨) ، وقـــال :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ (الحج : ٤٠) ، وقـــال :

﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنْفِرُوا جَمِيعاً ﴾ (النساء : ٧١) ، وقـــال :

﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء : ١٠٢) ، وكان عليهم أيضاً استفراغ جهدهم في الإعداد والاستعداد مادياً ومعنوياً : عيونهم ساهرة ، ومرابطتهم دائمـــة ، استجابة لقوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْـــتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ولابد لنا من الاعتراف بجرأة أننا نعيش الآن ، كعرب مسلمين أكثر من أي وقت مضىٰ ، مرحلة « القصعـــة » ، ونعاني من صورة الغثاء التي حذَّر الرسول ﷺ من الانتهاء إليها ، حيث تداعت علينا الأمم من كل حدب وصوب ، وانتقصت أرضنا ، وانتهك عرضنا ، على الرغم من إصرار بعضنا على الاستكبار بغير الحق ، وعدم الاعتراف بالحال التي نحن عليها ، والذي يشكل بداية الطريق إلى الرؤ ية الصائبة وتشخيص الداء ووصف الدواء . . .

ونحن ـ بلا شك ـ نعاني مأساة التخلف الثقافي ، والسقوط الحضاري ، والانكسار العسكري ، والوهن الخُلُقي ، ولقد كثر الكلام عن التخلف من كل المستويات ، لكننا مع الأسف استغنينا بالكلام على التخلف عن ممارسة وسائل النهوض والتقدم ، ولقد أُصبنا في تاريخنا الطويل بنكسات ونكبات وأيام سودٍ وسنين عجاف ، وضعف التزامنا بهذا الدين ، لكن

بالرغم من هذا كله بقي انتماؤ نا له ، وكان هذا الانتماء مرتكز القادة والمفكرين والمصلحين وحاملي لواء التجديد . هُزِم المسلمون سياسياً وعسكرياً وبقي الاسلام علماً وحضارة ، أما الآن فإننا لا نعاني من فقدان الالتزام وبقاء الانتماء ، وإنما نعاني من التذويب والذوبان ، وذلك بفقد الالتزام والانتماء معاً ، وهنا تكمن المعادلة الصعبة ، وتختلف مرحلة سقوطنا الحضاري وانكسارنا العسكري الحالي عن مراحل الهزائم التاريخية جميعها ، ولعل أول الطريق إلى الخلاص إنما يكون بتجديد عملية الانتماء لهذا الدين بشكل عام ، والاعتزاز بقيمه ، والالتزام بأحكامه ، والانضباط بشرعه ، ومن ثم تكون مرحلة الاستعلاء بالإيمان ، ولا يتأتى هذا إلا بتجديد وتحديد عملية التصور الإسلامي ، وبيان وامتلاك وسيلة التفوق الحضاري ، والاستفادة من درس التاريخ ، إن الاسلام كما فهمه السلف الصالح فقادوا به الحضارة وسادوا به الدنيا وحملوا لها الخير ، هو بالتأكيد غير الفهم للإسلام الذي نحن عليه بواقعنا الراهن . ولا يكفي في ذلك عودة النخبة ، وهو أول الطريق ، بل لابد من عودة الجماهير المسلمة بعد أن طال البعد وكثرت الدروس ، وقل الاعتبار . . .

إننا بحاجة في مواجهة السقوط العسكري الذي يملأ علينا حياتنا إلى إعادة بعث النفوس ، وتجديد ثقتها بالعقيدة العسكرية الإسلامية ، وإعادة بناء مكونات الفرد المسلم بشكل عام ، لتكون العسكرية ومفاهيم الجهاد جزءاً عضوياً منه .

قد يكون صحيحاً : أن الإنسان في مراحل التخلف ومناخ التخلف يصبح عاجزاً عن الإبصار والاعتبار ، لكن من المحقق أيضاً أن التحدي

يوقظ الحس ، ويلهب المشاعر ، ويذكي الروح ، ويجمّع الطاقات النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد .

إن ردود الفعل السوية تقتضي ، وقد قامت إسرائيل في موطن القلب من العالم الإسلامي على الرؤية الدينية التوراتية ، وجعلت من العسكرية الإسرائيلية وسيلتها الأساسية للتمكين للدولة والتمهيد للاستيطان ، واستعملت في مواجهتها الحلول غير الإسلامية كافة وسقطت ، وسقطت معها كل الشعارات التي استنزفت عقولنا ، وبددت طاقاتنا ، وأهدرت امكاناتنا على مدى نصف قرن من الزمان ، ولا زالت إسرائيل تتقدم بخططها وخطواتها ، تقضم أطراف الجسم الإسلامي الواحد تلو الآخر ، كما لا يزال كثيرون في عالمنا العربي الإسلامي يصرون على السير في الطريق المسدود الذي هو في نهاية المطاف لمصلحة يهود . . .

إن ردود الفعل السوية تقتضي العودة إلى النفس والتفتيش عن الذات ، واختبار الوسائل ، وإعادة النظر في العقائد العسكرية التي تسود معظم عالمنا العربي ، والتي ما زالت تسلمنا من هزيمة إلى هزيمة ، لعلنا بذلك نوقف عملية العد التنازلي التي بدأ الاستباق إليها .

وعلى الرغم من ذلك فلا تزال العقيدة الإسلامية ، والعسكرية جزء منها ، غائبة غياباً كاملاً عن ساحة الصراع ، مجهولة جهلاً مطبقاً في القوات المسلحة العربية الإسلامية والمعاهد والمؤسسات والكليات العسكرية على الرغم من بعض مظاهر الانتصار العاطفي لها في حدود الابتزاز السياسي ، الأمر الذي لا يُسمن ولا يُغني من جوع .

ذلك أن بعض القادة في عالم المسلمين لا يزالون يعتقدون أنه لا صلة للعقيدة بالنصر ، ولذلك لم يكونوا مستشعرين بشعار الإيمان ، وربما كان منهم من يجاهر بالفسوق والعصيان ، يحسبون أن النصر للآلة الفاتكة ، ويهملون شأن الذي يحرك الآلة ، وينسون أو يتناسون ان الطائرات والدبابات والأسلحة لا تخرج عن كونها كتلاً من الحديد صنعها البشر لاستخدامها في الحروب ، ولا يزال الإنسان هو المسيطر عليها ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح وعتاد ، وبدون عقيدة تحقق عنده إرادة القتال ، وتوحُّد الصف ، وتحقُّق الانسجام ، وتفتح أمام عينه البعد الغيبي للحياة .. لا يكون قتال ولا يكون انتصار .

إن الذين يحسبون أن النصر للآلة ، ويهملون شأن الإنسان ، إنما يضعون المقدمات الخاطئة التي سوف تسلمنا إلى نتائجها الخاطئة حتماً ، وهي أن يهود يمتلكون التفوق التكنولوجي والآلة الفاتكة ونحن لا نملكها ، فلم يبق أمامنا إلا الهزيمة والاستسلام لعدونا مهما حاولنا تسمية الأمور بغير أسمائها ، وينسون أننا نمتلك التفوق الاستراتيجي ، وأن ادعاءهم هذا مدفوع باستقراء الواقع البشري والجغرافي والاقتصادي ، ومدفوع أيضاً ببعض النماذج الخيرة المؤمنة التي أبلت بلاءاً حسناً ولم يصبح السلاح عبئاً عليها . . .

ولا شك أن هذا من آثار الغزو الثقافي ، أو إن شئت ، فقل : التطبيع الثقافي في المصطلح الجديد بعد انكشاف أمر المصطلح القديم الذي كان همُّه ودأبه تهميش مفاهيم الجهاد ، وتمييع المصطلحات الإسلامية ، وقراءة العسكرية الإسلامية بعقول ملوثة بالصليبية والصهيونية

والاستشراق ، أو بعقول شيوعية من أصحاب الولاء المزدوج الذين جعلوا دوافع الفتوح اقتصادية ، وفسروا التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً ، وقسموا الصحابة إلى يميني ويساري ووسط ، إلى غير ذلك من المهازل التي يكذبها الواقع والتاريخ ، ويأباها الدين وسلوك المجاهدين .

لقد كتب أسلافنا التاريخ وصنعوه ، وقرأه لنا جيل الغزو الفكري على هواه ، أما الآن ، وفي هذه المرحلة من السقوط الحضاري فأعداء الإسلام هم الذين يكتبون تاريخنا ، وهم يقرأونه لنا أيضاً ، حتى أصبح الاعتقاد السائد عند أكثر العسكريين .. أن التدين يعني : التخلف والرجعية والجمود ، وأن التقوى تعني البلادة والتواكل والغفلة و « الدروشة » ، وأن العسكري الحق هو الذي لا يكون متديناً ، وهكذا تستمر رحلة التضليل ، وتستمر معها الهزائم تنزل على رأس هذه الأمة .

نحن بحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى الثقافة العسكرية العربية الإسلامية في هذه السنين العجاف التي يعيشها عالم المسلمين ، بحاجة إلى قراءة السيرة النبوية وإعادة كتابة المعارك الإسلامية ، وتقديم القراءة الإسلامية أو التفسير الإسلامي لمعاركنا الحديثة أو لهزائمنا الحديثة .

لابد من إغناء تصورنا ، وذلك بقراءة العسكرية الإسلامية كجزء من العقيدة الإسلامية وثمرة لها ، حتى نتمكن من مد الرؤية الصحيحة والحكم على الواقع المتجدد من خلال منظور إسلامي ، ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، ولا يتحصل هذا إلا بقراءة العسكرية الإسلامية ، فالعقيدة العسكرية الإسلامية جزء من التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية بشكل عام ، ويخطيء كل الخطأ من يظن ، أو يلبس عليه ، أنه بالإمكان أن

يكون العسكري مسلماً ويحارب بعقيدة عسكرية غير إسلامية ، والواقع المهزوم دليل ذلك ، وباستقراء التاريخ نرىٰ أن المسلمين لما تخلوا عن تطبيق العقيدة العسكرية الإسلامية تخلىٰ عنهم النصر ؛ ذلك أن دراسة العقيدة العسكرية الأجنبية والالتزام بمصطلحاتها ، وإهمال العقيدة الإسلامية يصيب الدارس بقدر من الهزيمة النفسية يحطم معنوياته ويلغي شخصيته ، ويشعره دائماً بعقدة التفوق لدى أعدائه .

لقد تحدث المفسرون والمحدثون والمؤرخون والفقهاء ، وكتاب السيرة في بعض الفصول عن السير والمغازي ، وعرضوا فيها لغزوات الرسول ﷺ وسراياه ، لكنهم سجلوها كما وردت في الروايات دون أن تكون عند أكثرهم القدرة التخصصية على النظرة العسكرية ، والخلوص إلى العبر ، وإعادة ترتيب المعلومات على شكل يحقق العبرة للقارىء المسلم ، والخبرة للعسكري المسلم ، لكن حسبهم أنهم قدموا المعلومات بدقة وأمانة علمية ليأتي بعد ذلك الدارسون والمتخصصون بالعلوم العسكرية فيحسنون الاستفادة منها ، وتسليط الأضواء عليها لتحصيل الفائدة لحاضر المسلمين ومستقبلهم ، لكن الأمر الذي يلفت النظر هنا أن كثيراً من الدارسين والباحثين من المحدثين سقطوا في فخاخ الغزو الثقافي ، وقرأوا المعارك الإسلامية بأبجدية غريبة عنها ، وصبوها في القوالب التي صنعها الاستعمار أو ربائبه في الوطن الإسلامي ، فأساؤوا من حيث ظنوا أنهم يحسنون صنعاً ؛ وقد يكون مرد هذا أن المستشرقين كانوا الأسبق إلى وضع المناهج وصب القوالب عندما أسلمنا أنفسنا لنوم عميق ، ثم جئنا لنجدها جاهزة ، وحالت هزيمتنا النفسية دون فحصها واختبارها ، وحسن الاستفادة منها . . .

ولسنا الآن بسبيل الكلام عن موقع الجهاد في حياة المسلمين ، ومكانته في عقيدتهم ، صحيح أن الإسلام دين دعوة ورحمة وانقياد ، وليس دين قهر وسيف واستعباد ، لكن لابد من حماية لمناخ الدعوة وحرية نشرها ورد كيد المعتدين عنها ، وذلك بإيجاد وإعداد القوة التي ترهب المعتدين وتقضي على أطماعهم وتضمن السِلم والأمن ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ، وقد يكون موقع الجهاد في الإسلام الذي شرع لتأديب المعتدين ونسخ حكم الطواغيت والمتألهين أقرب في صورته إلى تشريعات العقوبات في القوانين التي لابد منها للعابثين بالأمن المفسدين في الأرض ، وحسبنا في الكلام عن موقع الجهاد من حياة المسلمين قول الرسول ﷺ :

« من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات ميتة جاهلية » ، وكيف أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، وحكم الجهاد عندما تُهاجم أرض من أراضي المسلمين حيث يصبح الجهاد فرض عين على كل المسلمين لقوله تعالى : ﴿ ٱنْفِــرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ (التوبة : ٤١) ، والجهود التي بذلها الاستعمار الثقافي وتلامذته لإقصاء المسلمين عن معاني الجهاد فلذلك حديث آخر ، وإنما الذي نريد له أن يكون واضحاً ابتداءً هو أن حركة الجهاد في الإسلام ليست لوناً من الغوغائية ، ومواقف الحماس والخطابة ، والمزايدات السياسية الفاقدة للبصر والبصيرة لأبعاد المعركة وقوة العدو ، وتعاملاً مع السنن الخارقة والمعجزات ، وإنما هو عقيدة راسخة ، وبصيرة نافذة ، وخطة محكمة ، ودراية عسكرية ، وحسن قراءة للظروف والإمكانات ، وإعداد مادي متفوق ، وانسجام مع السنن والقوانين التي شرعها الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وقدرة على التحكم في سير المعركة ونتائجها ، وتميز عن الرايات العمية . . .

هكذا كان الرســول القدوة ﷺ وسلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم ، كان عليه الصلاة والسلام يعمي أخباره عن أعدائه ، وكان يعلن عن منطقة ويحارب في أخرى ، ويستعمل التورية ، ويستطلع قوة العدو ، ويتخير أفضل المواقع وأنسب الأوقات ، حفر الخندق ، وقال لنعيم بن مسعود : « إنما أنت فينا واحد ، وإن الحرب خدعة ، فخذل عنَّا ما استطعت » ، وكان ما كان مما هو معروف في كتب السيرة والمغازي ، فدم المسلم أكرم على الله من كل شيء في الوجود ، والقائد المسلم الذي يفرط في الأرواح ليس قائداً ولا مسلماً ، وقد كان القادة المسلمون يحرصون أشد الحرص على أرواح المجاهدين ، كانوا يستأثرون بالخطر ويؤثرون رجالهم بالأمن ، وكانوا يتمتعون بإمكانات عسكرية عاليـة ، وعقيدة عن الاستشهاد وثواب الشهيد سامية ، كتبت لهم الفوز في معاركهم التي نفخر بها . . .

ونستطيع القول : إن المكتبة الإسلامية ما زالت فقيرة إلى الدراسات المنهجية المتخصصة للعسكرية الإسلامية في عصورها المختلفة ، وإلى القراءة الإسلامية المتخصصة أيضاً لمعارك العالم الإسلامي الحديثة إلى حدٍ بعيد .

ومن هنا تأتي ميزة هذا الكتاب « العسكرية العربيــة الإسلامية » ، الذي نقدمه في سلسلة كتاب « الأمـــة » في فترة نحن أحوج ما نكون فيها للتعرف على تراثنا العسكري وتلمس عوامل النصر لتجنب الهزيمــة .

وتأتي ميزة الكاتب اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الذي قدم للمكتبة الإسلامية نحو مائة وستة وعشرين كتاباً وبحثاً بجهوده الفردية في هذا المجال ، وذلك ما لم تستطع تقديمه كثير من المؤسسات والجامعات والجماعات . . .

لقد بدأ خطوة رائدة على طريق تدوين سيرة الرسول ﷺ ، وسير قادة الفتح الإسلامي من خلال تصور إسلامي واضح لعوامل النصر والهزيمة المادية والمعنوية ، وتخصص عسكري رفيع ، ولغــة عربية مطواعة .

اللواء الركن محمود شيت خطاب من العسكريين الذين نعتز بهم لأنه أبى السقوط في تربية الاستعمار والتزام مناهجه . . .

تتميز كتاباته بأنها ليست كتابات تراثية فقط ، يعيش فيها الماضي دون أن يكون قادراً على التعامل مع الواقع الحاضر ومتابعة رحلة المستقبل من خلال رؤ ياه الإسلامية . . لقد توقع الهجوم من يهود عام ١٩٦٧م في ميقاته ، وقبل أن يعلنوه ، وقبل أن يفكر فيه من سيكونون حطب معاركه ، لأنه يعلم الخصم ، ويدرك مآربه . .

كتب دراسات حديثة كثيرة حاول فيها أن يجاهد بقلمه دفاعاً عن الأمة المسلمة ، وتبصيراً لها ، وتحت عنوان « حرب أو لا حرب » قـال ما نصه :

« إن نفير إسرائيل سيكتمل يوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧م فتكون إسرائيل جاهزة للحرب في هذا اليوم ، وستهاجم إسرائيل العرب في هذا اليوم حتماً . .

وقد صدَّقَتِ الأحداث ما توقعته ، ولست نبياً ، ولكن الفن العسكري أصبح علماً له قواعد وأسس عليها استندت في كل ما كتبته من مقالات » .

والله نسأل أن يجزل مثوبته للمؤلف ، وينفع به المسلمين في هذه الفترة العصيبة من حياتهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

مقدمة

الشمول :

تشتمل العسكرية العربية الإسلامية على ستة أقسام : القسم الأول هي العقيدة الإسلامية ، والقسم الثاني هي المعارك العربية الإسلامية ، والقسم الثالث هم القادة العسكريون العرب والمسلمون ، والقسم الرابع هو التراث العسكري العربي الإسلامي ، والقسم الخامس هي الأسلحة العربية الإسلامية القديمة.، والقسم السادس هي اللغة العسكرية العربية والإسلامية . .

---

[١] العقيدة العسكرية الإسلامية :

القسم الأول من العسكرية العربية الإسلامية ، هي العقيدة العسكرية الإسلامية ، وهي العقيدة التي وردت تفاصيلها في القرآن

الكريم والسنّة النبوية والفقه الإسلامي ، مبادىء طبقها المسلمون الأولون على عهد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، فأحرزوا بتطبيقها الانتصارات المتوالية على أعدائهم في داخل شبه الجزيرة العربية من العرب المشركين ويهود ، وفي خارج شبه الجزيرة العربية من الفرس والروم وغيرهما من الأمم الأخرى ، حتى امتدت فتوح المسلمين من المحيط إلى المحيط .

فلما تخلى المسلمون عن تطبيق هذه العقيدة العسكرية الإسلامية ، تخلى عنهم النصر .

---

[٢] المعارك العربية الإسلامية :

والقسم الثاني من العسكرية الإسلامية ، هي المعارك العربية الإسلامية ، وتشمل غزوات النبي ﷺ وسراياه ، ومعارك حروب الرِّدة ، ومعارك الفتح الإسلامي العظيم ، ومعارك استعادة الفتح بالنسبة للبلاد المفتوحة والتي انتقضت ، والمعارك الدفاعية التي صدَّت الغزاة عن بلاد المسلمين ، ومعارك الاندحار .

وهذه المعارك مدونة في المصادر التاريخية العربية الإسلامية المعتمدة ، القديمة منها والحديثة .

والمعارك العربية الإسلامية وخاصة غزوات النبي ﷺ وسراياه ، ومعارك حروب الردَّة ، ومعارك الفتح الإسلامي ، ومعارك استعادة الفتح ، عبارة عن التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية ،

أخرجت من نطاق المبادىء النظرية إلى نطاق التطبيق العملي ، فأثبتت أنها عقيدة منشــئة بناءة تقود إلى النصر .

[٣] القــادة العسكريون العرب والمســلمون :

والقسم الثالث من العسكرية الإسلامية ، هم القادة العسكـريون العرب والمسلمون ، وهم قادة النبي ﷺ الذين تولّوا قيادة سراياه أو قيادة بعض تشكيلاته التعبوية في غزواته ، وقادة حروب الردّة ، وقادة الفتح الإسلامي العظيم ، وقادة استعادة الفتح ، وقادة المعارك الدفاعية الذين صدوا الغزاة عن بلاد المسلمين .

وهؤلاء القادة ، وخاصة قادة النبي ﷺ ، وقادة حروب الردّة ، وقادة الفتح الإسلامي ، وقادة استعادة الفتح ، هم الحماة القادرون الذين طبقوا العقيدة العسكرية الإسلامية في المعارك التي خاضوها تطبيقاً عملياً على الأرض وفي ميادين القتال ، فأثبتوا أن هذه العقيدة مطاوعة للتطبيق العملي ، وقادرة على إحراز النصر .

ومصـادر هؤلاء القـادة المعتمـدة ، هي مصـادر التـاريـخ العـربي الإسلامي خاصة ومصادر طبقات المحدِّثين وكتب الرجال المختلفة وغيرِها من المصادر المعتمدة عامـــة .

[٤] التُّراث العســكري العربي الإسلامي :

والقسم الرابع من العسكرية الإسلامية ، هـو التراث العسكـري العربي الإسلامي العريق .

وهذا التراث الأصيل ، موزَّع في المكتبات العامة والخاصـة ، والمتاحف ودور الآثار في جميع أرجاء العالم تقريباً .

وهذا التراث ، ينتظر التحقيق والنشر وإخراجه للناس ، أسوة بما حُقِّق ونشر من التراث العربي الإسلامي في مجالات الآداب والعلوم والفنـون ، لأنه ليس أقـل أهميـة من التـراث الـذي جـرى تحقيقـه ونشـره .

---

[٥] الأسلحـة العربية الإسلامية القديمـة :

والقسم الخامس من العسكرية الإسلامية ، هي الأسلحة العربية الإسلامية القديمـة التي استعملها المجاهدون في غزوات النبي ﷺ وسراياه ، وفي معارك حروب الـردَّة ، وفي معارك الفتـح الإسلامي العظيم ، وفي معارك استعادة الفتح ، وفي المعارك الدفاعية عن البلاد الإسلامية ، فكانت من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم ، ولو أن السِّـلاح عامة ليس مهماً كأهمية اليد التي تستعمله والإنسان الذي يتصرَّف به .

وهذه الأسلحة أنواع كثيرة ، منها : السَّيف ، والرمح ، والسهم ، والدِّرع ، والمنجنيق ، والدَّبابـة ، والعرَّادة . . . إلخ .

ولكل سلاح من هذه الأسلحة عدة أنواع ، لكـلِّ نوع منهـا اسم خاص ، وقد اهتم العرب والمسلمون بأسمائها اهتماماً بالغاً ، وهي مـدوَّنـة بـالتفصيـل في كتب اللغـة ، كـالمخصص لابن سيـده ،

والمعجمات العربية القديمة ، كـ « لسان العرب » لابن منظور ، والفيروز آبادي في معجمه « القاموس المحيط » .

وقد أصبح أسلوب استخدام قسم من هذه الأسلحة غير معروف في الوقت الحاضر ، وفي التراث العسكري العربي الإسلامي شرح لأساليب استخدامها وأنواعها معزَّزة بالأشكال والمخططات الإيضاحية .

ومن المفيد معرفة هذه الأسلحة وأساليب استعمالها ، لمعرفة سبب من أسباب انتصار العرب والمسلمين ، ولتوضيح المعارك القتالية التي استعملت فيها .

[٦] اللغة العسكرية العربية :

والقسم السادس من العسكرية الإسلامية ، هي اللغة العسكرية العربية في البلاد العربية واللغات الإسلامية الأخرى في البلاد الإسلامية .

وكانت اللغة العسكرية سليمة في البلاد العربية حتى سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة الهجرية (١٢٥٨م) ، فانهارت الدولة العباسية ، وتغلبت لغات العنصر غير العربي على البلاد العربية ، فطعَّموا اللغة العربية العسكرية باللغات الأجنبية : الفارسية والتركية على الغالب الأعم .

وكان من نتائج الحكم العثماني للبلاد العربية ، أن اللغة التركية

أصبحت لغة التعليم ، فسادت المصطلحات العسكرية التركية على المصطلحات العسكرية العربية ، وأصبح العسكريون العرب يتلقّوْن تدريبهم العسكري وتعليمهم باللغة التركية ، ويتعلمون في المدارس العسكرية التركية ، ويعملون في الجيش التركي .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، ابتُليت البلاد العربية بالاستعمار الفرنسي والإيطالي والبريطاني ، فبدأ مدّ المصطلحات العسكرية الغربية يطغى على العسكريين العرب ، وأصبحت اللغة العسكرية العربية مطعَّمة بالمصطلحات العسكرية التركية ، وبالمصطلحات العسكرية الفرنسية في سورية ولُبنان وتُونس والجزائر والمغرب ، وبالمصطلحات العسكرية البريطانية في العراق ومصر والسودان والأردن وفلسطين وإمارات الخليج العربي واليمن الجنوبي ، وبالمصطلحات العسكرية الإيطالية في ليبيا .

وجرت محاولات تطهير المصطلحات العسكرية العربية من المصطلحات العسكرية الأجنبية ، كما جرت محاولات توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، وأخيراً تكللت تلك المحاولات بالتوفيق بصدور المعجمات العسكرية الأربعة في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٩٧٣م) ، فلا عذر للدولة العربية التي لا تلتزم بهذه المعجمات العسكرية الموحَّدة الأربعة إلاّ إذا فضلت المصطلحات العسكرية الدخيلة على المصطلحات العسكرية الأصيلة ، وفضلت لغة المستعمر على لغة القرآن الكريم ، وفضلت التفرقة على التوحيد .

وبالرغم من صدور المعجمات العسكرية المـوحَّدة الأربعـة منذ بضع سنين خلت ، إلاَّ أن قسماً من الدول العربية لم يلتزم بها حتى اليوم ، مع أن لجنة توحيد المصطلحات للجيوش العربية التي أعدت هذه المعجمات المـوحَّدة ، كـانت مؤلفة من ضـابط من كل جيش عربي ، وعضو من مجمع اللغة العربية بالقاهرة وضابط من القيـادة العربية الموحدة ، عملت بموافقة الدول العربية كافة في كنف جامعة الدول العربية .

وهنا أُلمِّح بالدول العربية التي لم تلتزم بالمعجمـات العسكريـة الموحَّدة ، وغداً أصرِّح بأسمائها علناً ، تاركاً حسابها في جفـاء لغة القرآن الكريم على شعوبها والتاريخ الذي لا يرحم .

ومـا يقال عن اللغـة العسكريـة العربيـة ، يقال في سـائر لغـات المسلمين ، فينبغي تطهير المصطلحات العسكرية العربية والإسلامية من المصـطلحـات العسكـريـة الـدخيلة ، لأنهـا مـظهـر من بقـايـا الاستعمار ، تؤثر في المعنويات فتنهار ، وتزعزع الثقة بكفاية اللغة العربية دون مســوِّغ .

وقـد طهرت معـظم الدول العـربية مصـطلحاتهـا العسكريـة من المصطلحات العسكرية الأجنبية الدخيلة ووحّدتها ، وهذا يبشر بالخير العظيم .

---

[٧] المفصّـــــــل :

تلك هي لمحـات موجـزة توضـح ما نعنيـه بالعسكـرية العـربيـة

الإسلامية للقرّاء والدارسين ، ولكنها لا تُغني عن مفصّل يُغني عن كلٍّ قول .

ما هي العقيدة العسكرية الإسلامية ، وكيف ينبغي أن نعيد كتابتها ، وما هي مصادرها المعتمدة ؟

كيف وضعت مبادىء العقيدة الإسلامية موضع التنفيذ ، وكيف أُخرجت من ميدان الفكر النظري إلى ميدان التّطبيق العملي ، وما نتائج تطبيقها على الفتوح ، وما أثرها وتأثيرها في العرب والمسلمين ؟

وكيف نعيد كتابة المعارك العربية الإسلامية ، وما هي مصادرها المعتمدة ، وما هو منهاج إعادة تدوينها ، وما جدوى إعادة كتابتها وتدوينها لحاضر العرب والمسلمين ومستقبلهم ؟

ومَنْ هم القادة العسكريون العرب والمسلمون ، وماذا حقّقوا للعرب والمسلمين ، وكيف ندوِّن تأريخهم لأول مرة في التاريخ ، وما جدوى تدوين تاريخهم بالنسبة لحاضر العرب والمسلمين ؟

وهل اهتم العرب والمسلمون بقادتهم قديماً اهتمامهم بالعلماء والأدباء والفنانين ، وكيف نستطيع تصحيح الخطأ القديم بالإنتاج الجديد ؟

وما هو التراث العربي الإسلامي ، وما مبلغ أهميته فكراً ومجداً وأصالة ، وكيف يجري تحقيقه ونشره وإخراجه للناس ؟

وما أهميـــة تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره وإخراجه للناس

بالنسبة للحضارة العربية والإسلامية خاصة والحضارة العالمية عامة ؟

وما فائدة وصف الأسلحة العربية الإسلامية القديمة وبيان استعمالها في القتال ، وإحياء مصطلحاتها العسكرية العربية الإسلامية القديمة ؟

وما أهميـــة توضيح الأسلحة العربية الإسلامية القديمة بالأشكال والمخططات بالنسبة للدارسين وللتدريسيين في دراسة التاريخ العربي الإسلامي ؟

وما فائــدة تطهير اللغة العسكرية العربية من المصطلحات الأجنبية الـدخيلة ، واعتماد العـربية الفصحى في المصـطلحات العسكـرية العربية ؟

وما هي المصـــادر المعتمدة لمعين المصطلحات العسكرية العربية الفصحى ، وهل يكفي هذا الرصيد اللغوي في تغطية المصطلحات العسكرية الأجنبية كافة ؟

ذلك ما تقرؤ ه في الدراســـات القادمة وشيكاً بإذن الله .

الفصل الأول

إعادة كتابة
المعارك العسكرية العربية الإسلامية

[١] تطور المعارك :

المعارك العسكرية الإسلامية ، قسم من أقسام العسكرية الإسلامية لا تقل أهمية عن أقسامها الأخرى ، فهي التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية على الأرض وفي ميادين القتال ، وهي التي أثبتت عملياً بأن العقيدة العسكرية الإسلامية مبادىء قابلة للتطبيق العملي بنجاح وقادرة على إحراز النصر .

والمعارك العسكرية العربية الإسلامية ، بدأت في السنة الثانية من هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة ، فقاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ثماني وعشرين غزوة ، وبعث سبعاً وأربعين سريَّة ، وكان من جملة ثمرات الغزوات والسرايا توحيد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام .

والفرق بين الغزوة والسريَّة ، أن الغزوة يقودها النبي ﷺ ، والسرية يقودها أحد قادته .

وبعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، بدأت حروب الرِدَّة ، وهي معارك بين المسلمين من جهة وبين المرتدين عن الإسلام من جهة أخرى ، وجرت في أوائل خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، واستمرت نحو سنة كاملة ، أحرز فيها المسلمون النصر المؤزَّر على المرتدين .

وبدأت معارك الفتح الإسلامي بعد عودة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام بانتصار المسلمين في حروب الردَّة سنة إحدى عشرة الهجرية على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وتصاعد مدّ الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأوائل عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى أصبح الفتح طوفاناً عارماً .

ولكن مد الفتح أصيب بنكسة من جراء اختلاف المسلمين ، فأصيب هذا الفتح بالجزر ، ثم استأنف مسيرته المظفرة بعد إعادة الوحدة ثانية إلى المسلمين ، فاستعادت معارك الفتح مدَّها العارم ، كما استعاد المسلمون فتح البلاد التي سبق فتحها وانتقضت ، فكانت المعارك كافة بين الفتح واستعادة الفتح ، حتى توقف الفتح سنة مائة الهجرية (٧١٨م) .

ومن سنة مائة الهجرية بدأت معارك الدفاع عن البلاد الإسلامية ،

وندرت الفتوح واستعادة الفتوح ، لتفرق كلمة العرب والمسلمين وتشتت صفوفهم ، فتوزعت الدولة الواحدة دولاً ، على كلٍّ دولـــة منها قـائد أو ملك أو أمير .

وكانت المعارك الدفاعية ناجحة في الغالب حتى جاء التتار بجحافلهم ، فـاستولـوا على بغداد في صَفَـر سنـة ست وخمسين وستمـائـة الهجـريـة (١٢٥٨م) ، ودخلوها دخول الضواري المفترسة ، وقتلوا مئات الألوف من أهلها ، ونهبوا خزائنها وذخائرها ، وحرقوا كتبها وألقوا بقسم منها في نهر دجلة حتى اسـود ماء النهـر من مداد تلك الكتب النفيسـة ، وقضوا على الخلافة العباسية ، وعلى معالم الحضارة الإسـلامية ، ثم قتلوا الخليفـة المستعصم بالله وأفراد أسرتهِ وأكابر دولته إداريين وقادة وجنوداً .

وما كان هذا الانهيار الشنيع ليصيب الدولة الإسلامية ، لو بقيت دولة واحدة ، بقيادة واحدة ، بحماية جيش واحد . . .

لقـد أصيبت بهذا الانهيـار الفضيح ، لأنهـا كانت دولاً كثيـرة لا دولة واحدة .

[٢] بصــيص النور في الظــلام :

وبعد غزو التتار لبلاد المسلمين ، أصبحت المعارك الدفاعية الناجحة للمسلمين هزائم شنيعة تعاقبت على المسلمين ، فانهـار المسلمون قـوة عالمية لها وزن واعتبار ، وبقي الإسلام قوة حضارية عالمية .

وانهـزم المسلمون عسكـرياً أمـام التتار ، ولكن الإسـلام انتصر على

التتار ، فلم يلبثوا إلاَّ قليلاً على شركهم حتى اعتنقوا الإسلام .

ولكن المعارك الدفاعية الإسلامية التي بدأت سنة مائة الهجرية ، لم تخل من معارك هجومية منتصرة ، فقد فتح أســد بن الفُرات جزيرة صِقِلّية سنة ثلاث عشرة ومائتين الهجرية (٨٢٨م) ، واستعاد صلاح الدين الأيوبي فتح القدس من الصليبيين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة الهجريـة (١١٨٧م) ، كما استطاع السلطان قطز في معركة (عين جالوت) الانتصار على التتار على أرض فلسطين سنة ثمان وخمسين وستمائة الهجرية (١٢٦٠م) ، أي بعد انتصارهم على العباسيين في بغداد بسنتين فقط ، فكانت هذه المعارك بصيصاً من النور في وسط الظلام الدامس .

وفتح محمد الفاتح القُسْـطَنْطِينيَّة سنة سبع وخمسين وثمانمائة الهجرية (١٤٥٣م) ، فكانت هذه المعركة بصيصاً رابعاً من النور وسط الظلام ، بعد تلك المعارك الثلاث المنتصرة .

وبلغ انهيار المسلمين أقصى مداه ، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، إذ غزاهم الاستعمار في عقر دارهم ، وسيطر على بلادهم ، ولم ينجُ بلد إسلامي من الاستعمار إلاَّ شبه الجزيرة العربية وأفغانستان .

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٤٨م) ، اقتطع العدو الصهيوني قسماً من فلسطين ، وخلق له كياناً في ذلك الجزء من البلاد العربية بمعاونة الاستعمار ، وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية

(١٩٦٧م) ، استطاع ذلك العدو السيطرة على فلسطين كافة وأجزاء من سورية والأردن ومصر ، وهذا هو قمة ما وصل إليه المسلمون من ذل وهوان .

وإعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية من جديد ، بأيدٍ أمينة قادرة ، في غاية الأهمية بالنسبة لمعارك الفتح واستعادة الفتح ، لأنها المفاخر الأولى والأخيرة للعرب والمسلمين ، ولأنها أثبتت عملياً بأن هذه الأمة قادرة على الفتوح وعلى استعادة الفتوح بالنصر على الأمم الأخرى ، وأن مكانها ليس الذل والهوان ، بل المجد والعز إن أعدّت قواتها بالإيمان والسلاح والاتحاد .

ولكن أهمية إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية لا تقتصر على معارك الفتح ومعارك استعادة الفتح باعتبارها صفحات مضيئة في تاريخ العرب والمسلمين المجيد ، بل تشمل المعارك الدفاعية الناجحة والمعارك الدفاعية الخاسرة ، لكي نعرف عرباً ومسلمين لماذا انتصرنا ، ولماذا اندحرنا ، وكيف يمكن أن ننتصر ؟ وكيف يمكن أن نتحاشى الاندحار ؟

إن الدروس المستنبطة من المعارك كافة ، والعِبَر التي نتعلمها من دراسة تلك المعارك كافة ، بها أعظم الفائدة لحاضر العرب والمسلمين ومستقبلهم .

وهذه هي فائدة التاريخ لكل أمة من الأمم ، لأن الماضي هو دعامة الحاضر وأمل المستقبل ، فلا ينبغي إهماله أو إلغاؤه ، كما لا ينبغي استنساخه بدون إبراز دروسِه المفيدة وعِبَره النافعة ، فالأمة التي لا تاريخ

لها كالشجرة التي لا جذور لها ، تموت غداً إن لم تكن قد ماتت اليوم أو بالأمس القريب أو البعيد .

[٣] المصـــــــــــادر :

معارك الفتح . . . ومعارك استعادة الفتح ، والمعارك الدفاعية ، متيسرة في المصادر التاريخية العربية الإسلامية المعتمدة .

وهذه المصادر موثوق بها ، لأن المؤرخين الذين ألّفوها ثقات من طراز فريد ، فقد كانوا في أكثرهم مفسّـرين ومحـدِّثين وفقهــاء ونُحاة وأدبـاء ومؤرخين ، إضافة إلى علوم أخرى ، كالـطبري مثـلاً صاحب : **تـاريخ الرُّسل والملوك** ، وإمام المؤرخين .

لقد كان الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ) مفسراً ، وهو صاحب التفسير المشهور ، ومحدِّثاً ، وفقيهاً ، وهو صاحب كتاب : « **اختلاف الفقهــاء** » ، ونحوياً ، ومؤرخاً ، وكان مشهوراً بالورع والتقوى ، معروفاً بالاستقامة والصدق .

وقد ذكره الإمام النووي في كتـابه : (**تهـذيب الأسماء واللغـات**) ، فقال : « هو في طبقة الترمذي والنسائي ، وكان أحد الأئمة ، يُحكم بقوله ويُرْجع إلى رأيه ، لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القـرآن ، عالمـاً بالسنن وطـرقها وصحيحهـا

وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم في الأحكام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله كتاب التاريخ المشهور ، وكتاب في التفسير لم يصنِّف أحد مثلَه ، وكتاب « تهذيب الآثار » ، لم أرَ سواه في معناه لكنه لم يتمه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، وتفرد بمسائل حُفظت عنه »[1] .

وذكره الإمام الذهبي في كتابه : (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ، فقال : « **الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، صاحب التصانيف الباهرة ، ثقة ، صادق ، من كبار أئمة الإسلام المعتمدين** »[2] .

وقال ابن خلكان في كتابه : (وفيات الأعيان) عن المؤرخ ابن الأثير : « **وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم ، صنَّف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه (الكامل) ، ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة الهجرية ، وهو من خيار التواريخ** »[3] .

تلك هي بعض مزايا الطبري وابن الأثير ، وأمثالهما من المؤرخين المعتمدين يحرصون على تدوين الحقائق التاريخية كما حدثت بصدق وأمانة ، لأنهم يخافون الله فلا يفترون الكذب ، ولأنهم علماء بحق لا يلوِّثون علمهم بالكذب والافتراء ، ولأنهم قادرون على تدوين التاريخ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٧٨ ـ ٧٩) .
(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٣/٣٥) .
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٣ ٣٤) .

بـأمانـة وصدق وعلم ، ولـو أنهم لا يقدرون على التـدوين كمـا ينبغي ، لانصرفوا عنه إلى علومهم الأخرى التي يحاولون ما استطاعوا أن ينتفع بها الناس ، واضعين نصب أعينهم حديث رسول الله ﷺ : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله[4] إلاَّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَعُ به ، أو ولـد صالح يدعو لـه** »[5] ، فكانـوا يعتبرون العلم عبـادة من أجل العبـادات ، ويرجون ثواب الله في كل كلمة يخطُّونها باعتبار العلم يتجدد ثوابه ما أقبل عليه الناس وانتفعـوا به ، ولا ثـواب إلاَّ على علم موثـوق به لا غش فيـه ولا تدليس ، ولا ثواب على علم ملفق لا ينفع الناس .

لـذلك كـان المؤرخون المسلمـون القدامى ، كـالطبـري وابن الأثير وأضرابهما من المؤرخين ، يحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسبوا ، ونياتهم أن يتعبدوا بما يكتبون ، وإنما الأعمال بالنيات .

ولا يدعي أحد الكمال للمؤرخين المسلمين المعتمدين ، فالكمال لله وحده ، والكتاب العزيز هو الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أما ما يخطه البشر فلا يخلو من الوهم والخطأ والنسيان ، وكتب المؤرخين المسلمين المعتمدين لا تخلو من الخطأ ، ولكن نسبـة خطئهم إلى صوابهم ضئيل .

وقد كانت الرقابة النقدية على مختلف رواة الأخبار صـارمة جـداً في العصـور الغابـرة ، والرواة الـذين ينحرفـون عن الصدق يُسجَّـل عليهم

---

(٤) فائدة عمله وتجديد ثوابه .

(٥) رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٥٦/١) .

انحـرافهم بلا رحمـة ولا هوادة ، فيقـول عنهم النقاد بصـراحة وصـدق وأمـانة : « لا يـوثق بهم » ، أو يقولـون عن المفتري : « كـذّاب » ، أو يعبرون عن أقوالهم بأنها غير موثوق بها بقولهم : « حاطب ليل » ، أو : « لا يؤخذ بأقوالهم » .

وحتى في تعبير أصحاب الرجال والمؤرخين ، يقولون عن الموثوق به : « روى فلان ، وقال فلان » ويقولون عن غير الموثوق به : « زعم فلان » ، أو يقولون عنه : « لا يؤخذ بقوله » .

والمصادر التاريخية العربية الإسلامية المعتمدة لإعادة كتابة معارك الفتح ومعارك استعادة الفتح والمعارك الدفاعية ، هي : تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ فتوح البلدان للبلاذري ، وما أكثر المصادر الأخرى ، ولكن المصادر الثلاثة التي ذكرتها تعتبر من أوثق المصادر التاريخية القديمة المعتمدة ، وقد تكفي للنهوض بمهمة إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية الخاصة بالفتوح واستعادة الفتوح .

أمـا المعارك الـدفاعيـة الحديثـة التي خاضهـا العرب والمسلمـون ، فمصادرها العربية والأجنبية كثيرة جداً ، ولكن معظمها لا يخلو من تحيز وانحياز : العرب يتحيزون لأمتهم ، والأجانب ينحازون لأقوامهم ، وقد ضاعت الحقائق بين التحيز والانحياز .

والمؤرخون المحدثون في الغالب ، غير ملتزمين بالمُثُل العليا التي كان يلتزم بها المؤرخون القدامى المعتمدون ، فتقتضي دراسة المصادر والمراجع المحدثة حذراً شديداً ، للعثور على الحقائق بين ركام الإفراط والتفريط ، فقد مضى الوقت الذي كان المؤرخون يعتبـرون العلم

عبادة من أجلّ العبادات ، وجاء الزمن الذي أصبح فيه أكثرهم يعتبرون العلم تجارة من أربح التجارات .

ولكن لا يخلو أي وقت من الثقات ، وعلى هؤلاء مسؤولية إعادة كتابة معارك العرب والمسلمين الحديثة .

[٤] الأسلوب والمنهاج :

كتب المؤرخون القدامى المعارك العربية الإسلامية بأسلوب يضم جميع المعلومات المفصلة عن تلك المعارك ، ولكن الحوادث غير منسقة تارة وغير مترابطة تارة أخرى ، وفيها شيء من الغموض الذي يصعب فهمه على كثير من القراء والدارسين .

كما أن المصطلحات القديمة لا يعرفها غير المختصين ويجهلها غيرهم من الناس .

والأسلوب المطلوب إعادة كتابة المعارك بموجبه ، هو تقسيم كل معركة إلى : **الموقف العام قبل المعركة ، والقوات المشاركة في المعركة للجانبين ، وقادة الطرفين ، وسير القتال ، وخسائر الطرفين ، ونتائج المعركة ، والدروس المستنبطة من المعركة .**

ومن المناسب جداً أن تكون المعركة موضَّحة على خريطة أو عدَّة خرائط ، تعين الدارس والقارىء على تفهم سير القتال تفهماً كاملاً .

وهذا هو الأسلوب أو المنهاج الحديث لإعادة كتابة تاريخ المعارك ،

والمؤرخون القدامى لم يكونوا على علم به ، وطريقتهم في عرض المعارك هي حشد المعلومات عنها بحسب توقيت وقوع الحوادث تارة ، وبعدم الالتزام بالتوقيت تارة أخرى ، ويتم حشد المعلومات عن المعركة حشداً كيفما اتفق في بعض الأحيان .

والمهم في إعادة كتابة تاريخ المعارك ، هو الاحتفاظ بالمعلومات الواردة عنها في المصادر التاريخية الإسلامية المعتمدة ، وعدم تشويشها أو بترها أو إقحام معلومات جديدة عليها لم تقع أبداً بحجة أو بأخرى .

إن الأمانة المطلقة في النقل مطلوبة للغاية ، ومعيد كتابتها مسؤول (فقط) عن تصنيف المعلومات الواردة عنها وتبويبها ، واستنتاج الدروس المستنبطة منها التي تفيد العرب والمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، وتوضيحها بالخرائط والمخطّطات إن أمكن ، على أن تستوفى المعلومات الواردة عنها بكل دقة وأمانة بدون زيادة ولا نقصان .

[٥] قوات الجانبين وخسائرهم :

سقط قسم من المؤرخين العرب المسلمين المحدثين ، وبينهم أسماء لامعة جداً وصلت إلى القمة في الشهرة ، في وهدة التشكيك بتعداد قوات الجانبين التي اشتبكت في المعارك عامة وبتعداد الجانب العربي الإسلامي خاصة ، إلاّ إذا حظي التعداد العربي الإسلامي بتزكية مصدر من المصادر الأجنبية مهما يكن ذلك المصدر الأجنبي تافهاً لا قيمة له من الناحية العلمية ولا وزن !!

وهذا التشكيك يتم تسويغه باسم البحث العلمي ، وغالباً ما يزرع الباحث الشّك دون أن يبدي رأيه في تعداد قوات الجانبين ، بل يترك الأمر مبهماً بعد أن يسدل عليه ستاراً من الدخان الكثيف .

ومن الغريب جداً ، أن يعزو المؤرخ العربي المسلم المُشكِّك أمر التشكيك إلى نفسه ، كأنه استنتجه ببحثه العلمي الخاص به الذي لم يسبقه إليه مؤرخ آخر ، والواقع أنه نقله نقلاً حرفياً من أحد المصادر الأجنبية بأمانة ، دون أن يشير بأمانة أيضاً إلى المصدر الذي نقل حرفياً منه التشكيك ، كما تقضي الأمانة العلمية في النقل .

وتعود إلى المصدر الأجنبي المنقول منه ذلك التشكيك ، فيذهلك حقاً أن مؤلِّفه الأجنبي عدو للعرب والمسلمين ، كاره لتاريخهم العريق ، لأنه يهودي أو مُنصِّر أو جاسوس ، أكل قلبه الحقد على الفتوح العربية الإسلامية ، وهو مَعْنِيّ بهدم الفتوح والتهوين من شأنها وقيمتها ، ليصل إلى هدفه الحيوي ، وهو التهوين من قدرة العرب أُمَّة ومن أثر الإسلام في العرب ديناً .

وما يقال عن التشكيك في تعداد قوات الجانبين ، يقال عن التشكيك في تعداد خسائر الجانبين بالأرواح .

وتتلخص حجج الأجنبي في تشكيكه في تساؤله :

كيف يمكن حصر عَدَد قوات الجانبين ، وكيف يمكن إحصاؤها في الظروف الحربية الصعبة ، وحصرُ القوات وإحصاؤها صعبٌ في الظروف الاعتيادية ؟!

وكيف يمكن إحصاء الخسـائر بالأرواح في الحرب ، وهي كَرٌّ وفَرٌّ . . لا تستقر على قرار ، ولا تعطي الوقت الكافي للإحصـاء ؟!

وهدف الأجنبي الحاقد مفهوم ، أما هدف المؤرخ العربي المسلم الذي يستسلم للتشكيك المريب فغير مفهوم ، إلّا أن يكـون الناقـل جاهـلاً ، يستـورد تـاريـخ العـرب والمسلمين من المصـادر الأجنبيـة دون فهم ولا تمحيص .

أو يكون الناقـل ملوث العقل بمـا قرأه في المصـادر الأجنبية ، فلوَّث بالعدوى عقول تلاميذه وطلّابه في المؤسسات التعليمية وقرائه وسامعيه .

ولا ينبغي السكـوت عن الجهل الـذي أدَّىٰ إلى تلويث عقـول فلذات أكبـادنا التـلاميـذ والـطلاب ، وإخـواننـا الـدّارسين والسّـامعين العـرب المسلمين .

إن القوات العربية الإسلامية التي كانت تشهد الحروب ، يسودها النظام الدقيق ، منذ مغادرة المقاتل بيته حتى يشتبك في القتال ، ثم يعود إلى بيته سالماً إذا وضعت الحرب أوزارها ، أو يسقط شهيداً .

فهو لا يخرج وحده من بيته إلى ميدان القتال على انفراد ، بل مع جماعة من إخوانه المجاهدين ، وغالباً ما يكونون من عشيرته أو قبيلته أو قومه .

وللسيطرة على المقاتلين الذين غادروا ديارهم ، وللتعاون الوثيق بينهم في حلِّهم وترحالهم ، وقبل القتال وفي أثنائه وبعده ، يكون على كل عشرة مقاتلين عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب من عشيرة المقاتلين أو من قبيلتهم أو من قومهم .

ويمضي بناء القوات العربية الإسلامية الهرمي في تصاعده قُدُماً ، فيكون على كل عشرة نقباء أمير ، هو أمير الألف (كردوس)[٦] ، وعلى كل عشرة أمراء أمير الجيش ، وهو أمير عشرة آلاف فصاعداً ، وهو قائد الجيش الذي يتولى قيادة جيش المسلمين في قطر من الأقطار أو إقليم من الأقاليم الإسلامية ، ويكون عادة والي القطر أو الإقليم الذي يطلق عليه عادة لقب : الأمير .

وكل جزء من أجزاء الجيش ، اعتباراً من العريف الذي يقود عشرة رجال ، يتألف جنود ينتسبون إلى عشيرة واحدة أو قبيلة واحدة كعشيرة بني سعد من قبيلة بني تميم (مثلاً) ، وقائدهم من رتبة عريف إلى أمير الألف يكون من العشيرة نفسها أو القبيلة نفسها ، قُدِّم على رجاله لتقواه واستقامته وشجاعته وإقدامه وكفايته وإخلاصه ، فإذا كان من رؤساء العشائر أو رؤساء القبائل من يتسم بتلك السمات القيادية ، فُضِّل على غيره في قيادة قبيلته ، أما إذا لم يتسم بالسمات القيادية المطلوبة ، فيفضَّل عليه غيره من أفراد عشيرته أو قبيلته ، وكثيراً ما تبرز السمات القيادية للرجال في القتال ، فتقدِّمهم أعمالهم وتلفت إليهم الأنظار ، والقتال أهم محكٍ لسمات الرجال القيادية .

والقادة بمختلف رتبهم ومناصبهم ـ عدا أمير الجيش ـ يعيشون في أيام السلام في بلد واحد مع رجالهم ، فقد قسم المسلمون البلاد إلى أجناد في القواعد الإسلامية الرئيسة ، وكان جند كل قاعدة ينقسم باعتبار العشائر

---

(٦) الكردوس : جمعها كراديس ، ومعناها الكتيبة ، وهي كلمة يونانية في الأصل (Koortis) .

والقبائل ، فكانت البصرة (مثلاً) خمسة أقسام تسمى : الأخماس ، يقيم في كل خمس منها قبيلة من القبائل العربية وهم : الأَزْد ، وتَميم ، وبَكْر ، وعبد القيس ، وأهل العالية ، وهم أهل المدينة المقيمون ، وكانوا من قريش وكِنَانَة والأزْد وبَجِيْلة وخَثْعم وقيس عَيْلان كلِّها ومُزَيْنة ، وكان على كل خمس أمير من أمراء تلك القبائل .

أما في أيام الحرب ، فتبدأ مسيرة القادة مع رجالهم ابتداء من رحلتهم إلى ميدان القتال ، فيكون اتصال القادة برجالهم في مرحلة مسير الاقتراب من القاعدة إلى الهدف ، وفي المعسكرات في مراحل التنقل ، وفي المعسكرات المتقدمة قبل نشوب القتال ، وفي القتال ، وبعده ، وفي مسيرة العودة إلى الوطن .

ولا يمكن أن يكون الاتصال المباشر وثيقاً بمثل هذه الدرجة بين القائد ورجاله في أيام السَّلام والحرب معاً ، حتى في الجيوش الحديثة لكل الأمم بدون استثناء ، وعلى هذا يكون التعارف بينهم وثيقاً إلى أبعد الحدود .

كما كان يجري إحصاء الجند وتسجيلهم بالأسماء في ديوان الجند الذي يطلق عليه : (الديوان) وبموجب هذا الديوان يتقاضى الجند أعطياتهم ما داموا على قيد الحياة ، فإذا قتلوا رُقِّن قيدهم في الديوان ، وهذا الديوان إحصاء دقيق للجند وهم أحياء ، وإحصاء دقيق لهم إذا قتلوا ، وطالما سمعنا القائد يقول : « بلغ ديواني مائة ألف »[٧] ، وهكذا .

---

(٧) ابن الأثير (٥/٧٩) .

وقبل المعركة يستعرض القائد الجنـد ، فيسأل عن رجـلٍ رجلاً ، من هو ؟ وما هي قبيلته ، وعن حاله وسلاحه ، فإذا مرَّ الجندي بالقائد العام بحضور قائده المرؤوس رمى بسهم في مكان معين ، ثم مضى إلى سبيله .

فإذا نشب القتال ثم انتهت المعركة استعرض القائد العام الجنود من جديد ، فيأخذ كل جندي بعد استعراضه سهماً واحداً ، وبعد انتهاء العرض يبقى عدد من الأسهم في مكانها المعين لم يأخـذها أحـد ، وهي بعدد القتلى الذين سقطوا في المعركة من الشهداء .

وهذا الاستعراض إحصاء بالـغ الدقـة لتعداد الجنـود قبل المعـركة ، وتعدادهم بعد المعركة ، وتعداد خسائرهم من جراء القتال ، هذا بالإضافة إلى تعدادهم بالديوان ، ومعرفة كل قائد ـ وخاصة العرفاء ـ تعداد جنـوده الذين شهدوا المعركة وعدد خسائره من الجنود في القتـال ، وأخيراً فـإن العريف مسؤول عن ترقين أسماء الشهداء من الـديوان بعـد المعركـة ، لتتوقف أعطياتهم وتنقل إلى أهليهم الأحياء .

فإذا لم تكن كل هذه الإجراءات الدقيقة كفيلة بمعرفة تعداد الذين شهدوا المعركة ، وتعداد الخسائر بدقة متناهيـة ، فلا نعـرف كيف يتم الإحصاء الدقيق !!

ومـا يقال عن تعـداد المقاتلين العـرب والمسلمين ، يقال عن تعـداد المقاتلين من الروم والفرس .

ومـا يقال عن تعـداد خسائـر العـرب والمسلمين في كـل معـركـة من

المعارك ، يقال عن تعداد خسائر الروم والفرس أيضاً .

ولكن دقة تعداد العرب والمسلمين أكثر دقة من تعداد الفرس والروم ، نظراً لعلاقة القربى بين القادة وجنودهم واتصالهم المباشر بكل شيء .

ومما تقدم ، نستطيع أن نتبين بوضوح وجلاء ، أن التشكيك في تعداد المقاتلين وخسائرهم من الجانبين ، لا يدل إلا على الحقد الأسود أو الجهل المطبق .

وإذا كنا لا نطمع في الحد من حقد الأجنبي اليهودي ، أو المنصر الصليبي ، أو الجاسوس على العرب والمسلمين ، فلا أقل من أن نعيد المغرَّر بهم من العرب والمسلمين إلى طريق الحق والصواب .

[٦] المحافظة على حقائق التاريخ :

أعاد قسم من الإخوة العسكريين كتابة بعض معارك الفتح الإسلامي خاصة ، كمعركة القادسية ومعركة اليرموك ، ومعركة نهاوند التي أُطلق عليها بحق : معركة فتح الفتوح ، ومعركة حصن بابليون ، فحمَّلوا تلك المعارك ما لا تطيق وما لا ينبغي أن تتحمل ، إذ جعلوا منها معارك حديثة من آخر طراز ، وما هي كذلك ، ولا يمكن أن تكون كذلك ، وشتان بين معركة جرت قبل أربعة عشر قرناً ، وبين معركة جرت قبل سنوات معدودات .

وقد تتشابه المعركة القديمة والمعركة الحديثة في تطبيق قسم من مبادىء الحرب المعروفة والثابتة التي لا تتغير ، أما في أساليب القتال ، فالتشابه

بينهما غير وارد ، لاختلاف الأساليب القتالية باختلاف الأسلحة المستخدمة في القتـال وتطورهـا وتعداد المقـاتلين وتنـظيمهم وتسليحهم وتجهيـزهم وباختلاف عقائدهم القتالية .

والأساليب القتالية تتغير عبر القرون ، أما مبادىء الحرب فثابتة لا تتغير .

والـدروس المستنبطة من معـارك الفتوح الإسـلامية بـالنسبة لمبـادىء الحرب الثابتة قيِّمــة جداً ومفيدة للغاية ، وبالإمكان أن نقنع بهذه الفائدة الكبيرة دون أن نجعل من المعارك بعد إعادة كتابة تاريخها أن تحافظ على اسمها التاريخي فقط ولا تحتفظ بمضمونها التاريخي الأصيل .

وإذا لم يستطع الذين يعيدون كتابة معارك الفتوح وغيرها من المعارك ، أن يحتفظوا بالحقائق التاريخية ، ويحافظوا على أصالتها ، فما أعادوا كتابة تاريخ تلك المعارك ، بل مسخـوا تاريخهـا مسخاً وشـوهوهـا تشويهـاً ، والأفضل لهم وللمسلمين وللتاريخ أن يُريحوا ويستريحوا .

ومن الصعب جداً أن نقارن بين معركة إسلامية جرت قبل أربعة عشر قرناً ، وبين معركة حديثة جرت في الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨هـ - ١٣٦٥هـ) أي (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) ، من نـاحية التفـاصيل والأسـاليب القتالية المتغيرة أبداً ، وزجّ هذه المقارنة بمناسبة وبدون مناسبة في مثل هذا الموقف خطأ لا مسوَّغ له في أي حال من الأحوال .

والذين يقعون في مثل هذا الخطأ ، يحسبون أنهم يحسنـون صُنْعاً ، بحجـة أنهم يثبتون سبق المسلمين في هـذا الميدان ، ومـا أحسنـوا بـل أســاؤ وا إساءة بالغة ، لأنهم جعلوا من العسكرية الإسلامية ذنباً للعسكرية

الأجنبية ، وهي ليست ذنباً بل رأساً ، وقد يقتبس الحديث من القـديم ، والعكس ليس صحيحاً بل مستحيلاً .

كما أن العسكرية الإسلامية رائدة ، لأنها استطاعت فتح بلاد شـاسعة تضم في الوقت الحاضر سبعاً وثمانين مملكة وجمهورية وإمـارة ومشيخة ومستعمرة في آسيا وأوروبـا وإفريقيـة ، ولو لم تكن عسكـرية رائـدة لما استطاعت بمثل هذه السرعة المذهلة تحقيق كل هذه الانتصارات السريعة الحاسمة الباهرة الباقية .

ولست أجهل أن حسن النية وإسباغ المفاخر على المعارك الإسلامية حباً في العرب والمسلمين من أسباب الوقوع في هذا الخطأ الشنيع .

ولكنني أخشى أن تكون من أسبابه ابتلاء عقول قسم من الذين أعادوا كتـابة تـاريخ الفتـوح الإسلاميـة من عسكريين ومـدنيين عـربـاً ومسلمين بالاستعمار الفكري البغيض ، وانْبهارهم الخـطر بالعسكـرية الأجنبيـة ، واعتمادهم في إعادة كتابة تاريخ المعارك الإسلامية على المصادر الأجنبية وحدها .

إن المـطلوب من الذين يعيـدون كتابـة تاريـخ المعارك الإسـلامية ، المحافظـة على حقـائق التاريـخ وأصالـة المعارك ، بـأســلوب حديث ومنهج واضح .

والمطلوب منهم أن يبقوها عربيـة إسلاميـة ، ولا يمسخوهـا أعجمية أجنبية !!

الفصل الثاني

العقيدة العسكرية الاسلامية

[١] غياب العقيدة العسكرية الإسلامية :

إن العقيدة العسكرية الإسلامية ، غائبة غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية والإسلامية في جميع أرجاء البلاد العربية والدول الإسلامية ، مجهولة جهلاً كاملاً في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية العربية والإسلامية ، وفي سائر المؤسسات التعليمية العسكرية والمدنية أيضاً في الوطن العربي ودار الإسلام ، لا يعرفها العسكريون العرب المسلمون ،

ولا يقدرون قيمتها العظيمة ومكانتها الرفيعة بين العقائد العسكرية الشرقية والغربية المعروفة ، ولا يعملون بها لأنهم يجهلونها ويجهلون أثرها وتأثيرها في العرب والمسلمين ، والمرء عدوّ ما جهل .

وقد يعرفها قسم من الفقهاء العرب والمسلمين ، يتحدثون عنها في مجالاتهم التدريسية ، كفرع من فروع الفقه فحسب ، فهي مبادىء في كتب الفقه للعلم لا للعمل ، مجمدة لا تُطبق .

أما القوات المسلحة العربية والإسلامية ضباطاً ومراتب وجنوداً ، فتطبق في الوقت الحاضر ثلاثة أقسام ، أو ثلاثة أنواع من العقائد العسكرية الأجنبية ، كل قسم من الدول العربية والإسلامية يطبِّق نوعاً من أنواع العقائد العسكرية الأجنبية .

القسم الأول من الدول العربية الإسلامية ، **يطبق العقيدة العسكرية الغربية** ، وهذه العقيدة تقسم إلى ثلاثة أنواع : العقيدة العسكرية الأمريكية ، والعقيدة العسكرية البريطانية ، والعقيدة العسكرية الفرنسية .

أما العقيدة العسكرية الأمريكية ، فتسود في القوات المسلحة العربية الإسلامية التي تستورد السِّلاح من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتوفد طلابها العسكريين وضباطها إلى المؤسسات العسكرية الأمريكية .

أما العقيدة العسكرية البريطانية ، فتسود في القوات المسلحة العربية والإسلامية التي تستورد السِّلاح من بريطانيا ، وتوفد الطلاب العسكريين للدراسة في مؤسساتها العسكرية ، أو كانت مستعمرة لبريطانيا وجرى تدريب قواتها المسلحة على أيدي الخبراء العسكريين البريطانيين .

أما العقيدة العسكرية الفرنسية ، فتسود في القوات المسلحة التي تستورد السلاح من فرنسا ، أو جرى تدريب جيشها على أيدي الفرنسيين يوم كانت بلادهم مستعمرة لفرنسا .

والقسم الثاني من قوات العرب المسلمين المسلحة ، **يطبق العقيدة العسكرية الشرقية** ، وهي القوات التي كسرت احتكار السلاح ، واستوردت أسلحتها من الدول الشرقية بعد أن كانت تستورده من الدول الغربية ، وأوفدت التلاميذ والطلاب إلى المدارس والمعاهد والكليات العسكرية الشرقية ، واستقدمت الخبراء الشرقيين لتدريب جيشها .

والقسم الثالث من قوات العرب والمسلمين المسلحة ، **يطبِّق العقيدة الغرابية** ، كما اصطلحت على تسميتها نسبة للغراب الذي أراد تقليد العصفور في مشيته ، فأخفق في محاولته ، ولكنه نسي مشيته الأصلية ، فلا أصبح كالعصفور في مشيته ، ولا بقي غراباً كأمثاله من الغربان .

هذه القوات العربية الإسلامية ، كانت تطبق العقيدة الغربية ، ثم طبقت العقيدة الشرقية ، ثم بدَّلت رأيها فعادت أدراجها إلى العقيدة الغربية ، وتبدَّلت عقيدتها في مدة زمنية قصيرة غير كافية لاستيعاب أية عقيدة من العقيدتين كما ينبغي ، وأصبح لديها ضباط وضباط صف تخرج قسم منهم في العقيدة الغربية ، وتخرج قسم منهم في العقيدة الشرقية ، فأصبح كل قسم من هذين القسمين يدرِّب رجاله على العقيدة التي تعلمها ، فلم تبق تلك القوات المسلحة على إحدى العقيدتين ، بل امتزجت العقيدتان امتزاجاً متناقضاً ، فأصبح التدريب والتعليم العسكريان في تلك القوات المسلحة العربية الإسلامية أقرب إلى الفوضى منه إلى النظام .

إن العقيدة العسكرية الغربية تسود قسماً من القوات العربية الإسلامية المسلحة ، وتسود قسماً آخر منها العقيدة العسكرية الشرقية ، وتسود القسم الثالث والأخير منها العقيدة العسكرية الغرابية ، أما العقيدة العسكرية العربية الإسلامية ، فغائبة عن القوات العسكرية العربية الإسلامية غياباً كاملاً ، ومن النادر جداً أن يعرف عسكري عربي مسلم ،

أن هناك عقيدة عسكرية عربية إسلامية سادت ردحاً من الـزمن ، وقادت العرب والمسلمين إلى النصر .

[٢] لمــاذا العقيدة العســكرية الإســلامية ؟

لكي نعلم لماذا العقيدة العسكرية الإسلامية وحـدها تنـاسب العرب والمسلمين وتقـودهم إلى النصر ، ولا تنـاسبهم العقيدتـان العسكريتـان الغربية أو الشرقية ، وتقـودهم إلى الانـدحـار ، لابد من مقـارنة العقـائد الثلاث ، ليكون الجواب على هدى وبصيرة .

والمقارنة تقتصر على (المبادىء) التي تميز تلك العقائد وتتسم بها ، أما (الأساليب) فقد تكون متشابهة أو متقاربة بين العقائد العسكرية الثلاث ، وأهمية الأساليب بالنسبة لأهمية المبادىء لا قيمة لها .

والعقيدة العسكرية الغربية تنقسم إلى ثلاثة أنواع : العقيدة العسكرية الأمريكية ، والعقيدة العسكرية البريطانية ، والعقيدة العسكرية الفرنسية ، وهي تختلف بـالأسـاليب ولكنهـا تتفق في المبـادىء ، وكـانت العقيـدة العسكرية الغربية قبل الحرب العالمية الثـانية تنقسم إلى خمسـة أنواع ، يضاف إلى العقائد الغربية الثلاث ، العقيـدتان : الألمـانية والإيـطالية ، فجمدت هاتان العقيدتان بعد هزيمة ألمانيا وإيطاليا في تلك الحرب .

والعقيــدة الغربية ترتكز على المبدأ القائل : « مزيد من النيران وقليل من المقاتلين » ، أي : أن الهدف الذي يعترض العمليـات الحربيـة في القتال ، يمكن السيطرة عليه بدكه دكاً بالنيران الأرضيـة والجويـة الكثيفة

بمختلف الأسلحة المتيسرة ، مهما بلغت كثافة النيران كمية وكيفية ونفقات ، وحينذاك يستولي على ذلك الهدف بعد إخماده بالنيران وإسكاته عدد محدود من المحاربين ، لغرض التقليل من الخسائر في الأرواح جهد الإمكان .

وعلى هذا المبدأ : « **مزيد من النيران ، وقليل من المقاتلين** » ، يجري تدريب وتسليح وتجهيز وتنظيم وقيادة القوات المسلحة التي تعتمد العقيدة الغربية في العسكرية .

ولم يأت هذا المبدأ السائد في العقيدة العسكرية الغربية من فراغ ، ولم يفرض نفسه عبثاً ، ولا يُعمل به من غير جدوى بل فرضه فرضاً عاملان حيويان :

الأول : هو أن الدول الغربية دول صناعية تنتج السلاح في مصانعها الخاصة بها ، وبإمكانها إنتاج السلاح الذي تريده ، بالكمية التي تريدها ، وتزويدُ جيوشها بالسلاح التقليدي والسلاح المتطور ليس مشكلة بالنسبة لتلك الدول الغربية الصناعية ، وهذا هو العامل الصناعي .

أما العامل الثاني : فهو عامل سياسي ، فالديمقراطية التي تُتيح الحرية الكاملة لكل فرد ، تجعل لحياة ذلك الفرد قيمة عظيمة لا يمكن التساهل بأي شكل من الأشكال في إهدارها دون مسوِّغ وبغير حق ، كما أن للمعارضة صوتاً مسموعاً يرتفع عالياً في التنديد بكل تبديد في الأرواح دون مسوِّغ وبغير حق أيضاً ، فلا مجال للمغامرة بالأرواح ، وهناك كل المجال للمغامرة بالنيران .

والقائد المنتصر في معركة من المعارك ، لا يحاسب في الغرب على إسرافه في النيران ، ولكن يحاسب على إسرافه في الأرواح ، ولا تعتبر

المعركة ناجحة إذا كانت الخسائر بالأرواح فوق المعدل وأكثر من المعقول .

أما العقيدة العسكرية الشرقية ، فترتكز على المبدأ القائل : « مزيدٌ من المقاتلين وقليل من النيران » ، أي : أن المبدأ الشرقي يناقض المبدأ الغربي من الناحية العسكرية على خط مستقيم ، فالهدف الذي يعترض العمليات الحربية في القتال ، يمكن السيطرة عليه بموجات متعاقبة من المحاربين ، يتعاقب تقدمها : قَدَمَة قتالية بعد قَدَمَة قتالية ، حتى تستطيع إحدى القدمات القتالية النجاح في السيطرة على الهدف المطلوب ، ويكون تقدم القدمات المقاتلة نحو هدفها مسنداً بالنيران المتيسرة من الأرض أو من الجو أو منهما معاً ، ولا يحول نقص النيران كمية ونوعاً دون إقدام المقاتلين على النهوض بواجبهم في احتلال هدفهم في الوقت المناسب .

وبموجب هذا المبدأ « مزيد من المقاتلين وقليل من النيران » ، يجري تدريب وتسليح وتجهيز وتنظيم وقيادة القوات المسلحة التي تعتمد العقيدة الشرقية في العسكرية .

وفرض هذا المبدأ عاملان رئيسان :

الأول : ضخامة نفوس الدول الشرقية عامة والاتحاد السوفييتي خاصة ، وتسخير الحشود لمصلحة الدولة بحيث تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة .

والثاني : هو عدم تكامل الإنتاج الصناعي للأسلحة في الدول الشرقية كما هو الحال في تكاملها في الدول الغربية ، فلابد من الاقتصاد فيه واستعماله دون إسراف ، كما يجري في العقيدة العسكرية الغربية .

وليس معنى ذلك عدم تكثيف النيران في العقيدة الشرقية ، بل معناه أن معدل كمية النيران في العقيدة الشرقية أقل منها في العقيدة الغربية .

إن العقيدة العسكرية الغربية عبارة عن إفراط في النيران ، وتفريط في المقاتلين ، والعقيدة العسكرية الشرقية عبارة عن إفراط في المقاتلين ، وتفريط في النيران .

أما العقيدة العسكرية الإسلامية ، فلا إفراط فيها ولا تفريط ، بل هي وسط في كل شيء ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

لا إفراط في العقيدة العسكرية الإسلامية بالنيران ، لأن الدول العربية والإسلامية تستورد معظم أسلحتها ولا تصنعها ، فلا يمكن أن نفرط في استخدامها كالدول الصناعية الغربية التي تنتج أسلحتها وتصنعها في بلادها محلياً .

ولا إفراط في هذه العقيدة بالمقاتلين ، لأن للروح البشرية قدسية خاصة في الإسلام ، ينبغي الحرص على سلامتها وأمنها ، والقائد المسلم الذي يفرط في تقديم الخسائر بالأرواح عبثاً ليس قائداً ولا مسلماً ، وقد كان القادة المسلمون يحرصون أشد الحرص على أرواح المجاهدين ، وغالباً ما كانوا يستأثرون بالخطر ويؤثرون رجالهم بالأمن .

والدول الإسلامية في مجموعها ليست كثيفة السكان إلا في باكستان وبنجلاديش ، وبالرغم من كثافة سكان هذين القطرين الإسلاميين ، فالحرص على أرواح المقاتلين في الحرب من أول واجبات القادة .

وما يقال عن الإفراط في النيران والمقاتلين ، يقال في التفريط بهما ، فلا يناسب الدول الإسلامية غير العقيدة الوسط ، لا شرقية ولا غربية ، بل وسطاً بين ذلك .

ومن مناقشة العقائد العسكرية الثلاث ، يتبين لنا ، بأن العقيدة العسكرية الإسلامية هي أفضل من العقيدتين الشرقية والغربية ، وهي التي تناسب العرب والمسلمين ، تنفيذاً لتعاليم الإسلام ، لأن العقيدة العسكرية الإسلامية جزء لا يتجزء من العقيدة الإسلامية ، ولأنها تناسب المسلمين نفوساً وقدرات صناعية ، ولأنها العقيدة التي جربناها فانتصرنا ، وجربنا غيرها فلم ننتصر أبداً .

[٣] سمات العقيدة العسكرية الإسلامية :

انتصرنا بالعقيدة الإسلامية ، لأن لها سمات معينة لا مثيل لها في العقائد العسكرية الأخرى .

إن الإسلام بتعاليمه السمحة الرضية جعل بحوافزه المادية والمعنوية المسلم الحق ، مطيعاً لا يعصي ، صابراً لا يتخاذل ، شجاعاً لا يجبن ، مقداماً لا يتردد ، مُقبلاً لا يفر ، ثابتاً لا يتزعزع ، مجاهداً لا يتخلف ، مؤمناً بمثل عُليا ، مضحياً من أجلها بالمال والروح ، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، مدافعاً عن الأرض والعِرض وحرية انتشار الدعوة وصيانتها ، وعن المسلمين في دار الإسلام .

هذا المؤمن الحق ، لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والإشاعات ، ولا يستكين للاستعمار الفكري ، ويقاوم الغزو الحضاري الذي يناقض دينه ، ولا يقنط أبداً ولا ييأس من رحمة الله .

وهذا المؤمن الحق ، يقظ أشد اليقظة ، حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوّه ويعُد العدة للقائه ، ولا يستهين بـه ، في السلم والحرب ، ويجاهد بأمواله وروحه في سبيل الله .

وكل هذه التوجيهات العسكرية مستمدة من القرآن الكريم ، الذي حوت آياته المحكمة على ترسيخ العقيدة العسكرية الإسلامية في عقل المسلمين وقلوبهم بكل ما فيها من أسس وتفاصيل .

وهذه العقيدة العسكرية الإسلامية ، تفسر سر الفتوح الإسلامية العظيمة التي امتدت خلال تسع وثمانين سنة (من سنة إحدى عشرة الهجرية إلى سنة مائة الهجرية) من الصين شرقاً ، إلى فرنسا غرباً ، ومن سيبيريا شمالاً ، إلى المحيط جنوباً .

ذلك لأن شعار المسلمين كـان : ﴿ قُلْ هَـلْ تَرَبَّصُـونَ بِنَا إلاَّ إحْـدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ (التوبة : ٥٢) : النصر أو الشهادة .

ولأن المسلمين كانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّـاسُ إنَّ النَّـاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْـلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُـوءٌ وَاتَّبَعُـوا رِضْـوَانَ اللَّهِ وَاللَّـهُ ذُو فَضْـلٍ عَـظِيـمٍ ﴾ (آل عمران : ١٧٣-١٧٤) .

وأشهـد أنني لم أقرأ ، حتى في كتب التعبيـة وسَـوْق الجيش الفنيـة الصادرة حديثاً ، أوضح تعبيراً ، وأدق تعريفاً ، وأكثر شمـولاً ، وأوجز عبارة ، مما جاء في القرآن الكـريم في هذه الآيـة الكريمـة أسلوباً فـذاً لمصاولة الحـرب النفسية المعـادية ، وتعـريفاً لإرادة القتـال في العقيدة العسكرية الإسلامية .

بل لا يقتصر معناها على ذلك فحسب ، بل يشمل تعريف : المعنويات العالية التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم أيضاً .

تلك هي عظمة القرآن الكريم حتى في المجالات العسكرية ، ولكن يا ليت قومي يعلمون .

ونعود لنتساءل : أهـذه العقيدة العسكرية الإسلامية أفضل وأقوم وأمتن وأجدى . . . أم العقيدتان العسكريتان المستوردتان : الشرقية والغربية ؟!!

[٤] المصـادر المعتمـدة . . .

أول المصـادر للعقيدة العسكرية الإسلامية وأهمها هو القرآن الكريم ، وقد اعتمدته وحده في إبراز سمات هذه العقيدة في الذي أوردته من سمات ، ويمكن إجراء دراسة مستفيضة في : الجهاد بالمال ، الجهاد بالنفس ، عقاب المتخلف ، الطاعة ، الصبر ، الشجاعة ، الشهادة والشهيد ، الثبات ، الحرب العادلة ، العهود والمواثيق ، الأسرى ، الغنائم والفيء والجزية ، مصاولة الحرب النفسية ، الحذر واليقظة ، الإعداد الحربي ، وغيرها من الدراسات الحيوية المهمة .

والمصدر الثاني : كتب الحديث ، وأهمها الصحاح الستة : البخاري ، مسلم ، أبو داود ، الترمذي ، النسائي ، وابن ماجه .

وفي مصادر الحديث ذخيرة لا تقدر بثمن في العقيدة العسكرية الإسلامية .

والمصـــدر الثـــالث : كتب الفقـه الإســـلامي ، وعلى رأسهـــا كتب المذاهب الأربعة : أحمد بن حنبل ، ومالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، فقد شرح الفقهاء عليهم رحمة الله العقيدة العسكرية الإسلامية شرحاً وافياً لا مزيد عليه .

ولعل من المفيد أن ألفت أنظار الباحثين إلى كتاب : **« السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيباني** تلميذ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما ، وشرحه لمحمد بن أحمد السرخسي الذي حققه الدكتور صلاح الدين المنجد ، فهو مصدر عظيم الفائدة جليل القدر في العقيدة العسكرية الإسلامية .

والمصـــــدر الرابع : المصادر التاريخية المعتمدة وكتب المغازي ، وعلى رأسها السيرة النبوية المطهرة ، وأهم المصادر التاريخية المعتمدة : تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، والكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير وغيرهما كثير .

وفي هذه المصـــادر تفاصيل المعارك التي خاضها المسلمون في الفتح واستعادة الفتح ، والمعارك الدفاعية ، وغزوات النبي ﷺ وسراياه ، وهي التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية ، وفيها لمحات من سير القادة الذين طبقوا تلك العقيدة عملياً .

وهنـــاك المصادر الجغرافية القديمة المعتمدة ، وهي تعين على تفهم أماكن المواقع الحربية وتصفها وصفاً يقربها إلى القراء جهد المستطاع ، وعلى رأس تلك المصادر : **معجم البلدان لياقوت الحموي .**

والذي نتوخاه من دراسة المصادر المعتمدة كـافة ، هـو كتابـة العقيدة العسكرية الإسلامية بأسلوب سهل مبسط بعيـد عن التعقيد ، مـع إدخال

المصطلحات العسكرية الحديثة ، بعد تثبيت المصطلحات الفقهية القديمة ، لأنها من تراث العرب والمسلمين الذي ينبغي أن يحافظوا عليه ويعتزوا به ، وكمثال على ذلك ، فإن الجهاد يكون (فَرْضَ عَيْن) وهو النفير العام ، أو (فرض كِفَاية) ، وهو النفير الخاص ، بموجب المصطلحات العسكرية الحديثة ، وذكر هذه المصطلحات الحديثة يقربها إلى أفهام العسكريين خاصـة والقراء عامـة ، مع إبقاء المصطلحات الفقهية القديمة في المتن .

والهدف الحيوي من إعادة كتابة : العقيدة العسكرية الإسلامية ، هو إعادة تدريسها في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية الإسلامية ، فقد طال تخلي العرب والمسلمين عن عقيدتهم العسكرية الإسلامية المستمدة من دينهم الحنيف ، وقد آن لهم أن يعودوا إليها من جديد .

إن العرب والمسلمين يريدون أن يستعيدوا الأرض المقدسة في فلسطين ، ويريدون أن يستعيدوا القدس والمسجد الأقصى ، ويريدون أن يدافعوا عن حقوق المسلمين المغتصبة في كثير من أرجاء العالم .

ولن يستطيعوا استعادة الأرض المقدسة والحقوق المغتصبة ويدافعوا عن العقيدة والأرض والعِرض إلا بالجهاد الإسلامي .

وهذا الجهاد غير وارد في العقيدتين العسكريتين الشرقيـة والغربيـة ، بل تقف هاتان العقيدتان المستوردتان منه موقف الرفض والعداء !

والعقيدة العسكرية الإسلامية ، هي العقيدة الوحيدة التي تأمر بالجهاد ، وتنهى عن تركه ، وتعلم أسسه ومبادئه ، وتخرج المجاهدين الصادقين .

والعـود الأحمد إلى هذه العقيدة ، هو طريق النصر والعزة والمجد ، وإلّا فكيف نتتصر بدونها !!!

الفصل الثالث

القادة العسكريون العرب والمسلمون وكتابة تاريخهم .

[١] طبقـات القـادة :

(أ) الطبقـة الأولى من قادة العرب والمسلمين ، هم قادة النبي ﷺ ، الذين قادوا سراياه ، أو قادوا تشكيلاته التعبوية في غزواته .

وقادة سراياه ، هم الذين قادوا إحدى سراياه ، لتحقيق واجب معين في وقت معين ، وكان تعداد سراياه سبعاً وأربعين سرية .

والتشكيلات التعبوية في غزواته ، هي المقدمات والمؤخرات

والمجنبات التي كان يتخذها لحماية جيشه في مرحلة مسير الاقتراب ، وقادة المفارز الاستطلاعية ، وقادة أصحابه كالمهاجرين والأنصار والقبائل ، وقادة أرتاله المكلفة بواجب خاص ، كالأرتال التي دخلت مكة المكرمة في غزوة الفتح .

وقادة النبي ﷺ من الصحابة الكرام خريجو مدرسته القيادية ، وكلهم من العرب المسلمين .

(ب) والطبقة الثانية من قادة العرب والمسلمين ، هم قادة الفتح الإسلامي ، وقادة إعادة الفتح الإسلامي بالنسبة للبلاد التي سبق فتحها ثم انتقضت ، فأعاد المسلمون فتحها من جديد .

وقد بدأ الفتح الإسلامي سنة إحدى عشرة الهجرية (٦٣٢م) ، وانتهى سنة مائة الهجرية (٧١٨م) ، وكان مد الفتح الإسلامي عالياً على عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وحتى سنة إحدى وثلاثين الهجرية (٦٥١م) من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم أصبح الفتح الإسلامي فتحاً جديداً واستعادةً للفتح من سنة إحدى وثلاثين الهجرية إلى سنة مائة الهجرية ، وذلك بعد عودة الوحدة إلى صفوف المسلمين .

وأكثر قادة الفتح من الصحابة ، وأقلهم من التابعين ، وجميعهم من العرب المسلمين عدا طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين .

ويمكن إضافة أسد بن الفرات فاتح صقلية ، ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية إلى طبقة قادة الفتح ، كما يمكن إضافة صلاح الدين الأيوبي إلى طبقة قادة إعادة الفتح .

(ج) الطبقة الثالثة من قادة العرب والمسلمين ، هم قادة الدفاع عن

البلاد الإسلامية الذين استطاعوا صد العدوان الخارجي ، واستطاعوا القضاء على الفتن الداخلية ، وهم القادة الذين جاؤوا بعد سنة مائة الهجرية وانتهوا بسقوط بغداد عاصمة العباسيين على أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة الهجرية (١٢٥٨م) .

وقد استطاع السلطان قطز سنة ثمان وستمائة الهجرية (١٢٦٠م) صد التتار في معركة (عين جالوت) على أرض فلسطين وانتصر عليهم ، فهو من قادة الدفاع عن البلاد الإسلامية أيضاً .

(د) والتوقيت الذي ذكرته بالنسبة لقادة الفتح الإسلامي وقادة استعادة الفتح الإسلامي ، وقادة الدفاع عن البلاد الإسلامية ، توقيت يصدق على الأغلبية العظمى من القادة في تصنيفهم إلى طبقات ، أما القلة القليلة من القادة الفاتحين أو مستعيدي الفتح أو المدافعين ، فيمكن إضافة كل قائد إلى طبقته مع الإشارة إلى تاريخ فتحه أو استعادته الفتح أو انتصاره في المعارك الدفاعية .

لقد فتح قسم من القادة أجزاء من أوروبا في أيام الدولة العثمانية ، فهم بدون شك من قادة الفتح .

واستطاع قسم من القادة استعادة بلاد إسلامية احتلها أعداء المسلمين في عهد الدولة العباسية ، وفي الحروب الصليبية خاصة ، فهم بلا مراء من قادة استعادة الفتح .

واستطاع قسم من القادة الدفاع بنجاح عن بلاد المسلمين في عهد العباسيين وملوك الطوائف ، وفي أيام الحروب الصليبية ، فهم بلا ريب من قادة الدفاع عن بلاد المسلمين .

ولكن أعداد أولئك القادة المنتصرين قليلة ، بالمقارنة بأعدادهم الضخمة التي وردت في توقيت تصنيف طبقاتهم ، فلا ينبغي إغفال كتابة

تاريخهم تقديراً لجهادهم وجهودهم ، وهم يستحقون أعظم التقدير وأصدق الوفاء .

[٢] المصـــــــــــادر :

في المصادر التاريخية المعتمدة ، معلومات غزيرة عن المعارك المختلفة التي خاضها قادة العرب والمسلمين ، تغطي الناحية العملية من حياة القادة تغطية كاملة أو قريبة من الكمال .

ولكن كتابة سِـيَر القادة العرب والمسلمين ، تشمل سِيَرهم قادةً وسيرهم بشراً ، ولا ينبغي الاقتصار على سيرهم قادة ، وإبراز سماتهم العسكرية ، والسكوت عن أية سمة لأي قائد إنساناً ، فذلك وحده يكمل الصورة لتاريخ القادة العسكرية وغير العسكرية .

وقد كان عمل القادة في الغالب ، لا يقتصر على العمليات العسكرية ، بل يشمل القضايا الإدارية ، لأنهم كانـوا ولاة يمارسـون الإدارة ، وقادة يمـارسـون القيـادة ، وتـاريخهم الإداري لا يقـل أهميـة عن تـاريخهم العسكري ، وتاريخهم الرسمي قادة وإداريين جزء من تاريخهم الكامل ، فينبغي تـدارس تاريخهم بشـراً يأكلون الـطعام ويمشـون في الأسـواق ، ويعملون عمل سائر البشر ، زواجاً وإنجاباً ، ولهم سماتهم البشرية مزايا ومآخذ ، ليكون تاريخهم كاملاً جهد الإمكان ، بحيث يستطيع الذي يدرس تاريخهم أن يتصور أي نوع من البشر كانوا في حيـاتهم ، بالإضـافة إلى تصوُّرِهم أيّ نوع من القـادة والولاة .

والمصادر غير التاريخية التي تفيد في كتابة تاريخ القادة تكاد لا تُعدُّ ولا تحصى ، ولكن ليس من السهل كتابة تاريخهم لأنه لا تتيسر دراسات خاصة مستقلة لكل قائد ، بعكس المفسرين والمحدثين والمؤرخين والفقهاء والأدباء والشعراء والنحاة واللغويين والصوفية والأطباء والفلاسفة وأصحاب الملل والنحل ومختلف العلماء العرب والمسلمين في مختلف العلوم ، فلكل واحد من هؤلاء الأعلام دراسة خاصة مستقلة .

أما القادة العرب والمسلمون ، فينبغي للذين يحبون أن يكتبوا تاريخهم ، أن يجمعوا شتات ما جاء عن كل واحد منهم من مختلف المصادر التاريخية والأدبية والعلمية ، ومصادر التفسير والحديث والأنساب والفروسية والمعجمات وغيرها ، ليبنوا سيرتهم من جديد لأول مرة في التاريخ لَبِنَةً لبنة بجهد جهيد ودأب متواصل وعمل شاق وصبر جميل .

وكل مصدر من المصادر يذكر القادة بالنسبة لاختصاص ذلك المصدر : مصادر التاريخ تذكر معاركهم وأعمالهم الإدارية ولاة وقادة ، وكتب الحديث تذكر عدد الأحاديث التي رووها وأسماء الرواة الذين أخذوا عنهم وأسماء الرواة الذين أخذوا منهم ومبلغ الثقة بهم ، وكتب الأدب تروي ملحهم الأدبية وأقوالهم السائرة ، وخطبهم وأحاديثهم البليغة وشعرهم ونثرهم ، وما قيل فيهم من الشعر في المدح أو الهجاء ، وكتب الأنساب تتحدث عن أنسابهم وعن أعقابهم وذريتهم وأزواجهم ، وكتب الفروسية تروي نتفاً من فروسيتهم .

ولا أعرف مصدراً عربياً إسلامياً معتمداً يمكن الاستغناء عن دراسته ، لاستكمال كتابة تاريخ القادة ، فلابد أن يكون المؤلف خبيراً بالكتب والمكتبات ، مغرماً بالقراءة والتتبع ، يلتقط كل كلمة أو جملة تفيده في دراسته وتأريخه .

ولكي يبني قصة حياة قائد من القادة ، عليه أن يدرس عشرات المصادر المعتمدة بل مئات المصادر ، حتى يستطيع إبراز سيرته قائداً وإنساناً ، وكل جهد ووقت ومال ينفق من أجل تحقيق هذا الهدف الحيوي يهون ، والمهم أن نبدأ الطريق الطويل الشاق ، وكل بداية في كل مسيرة طويلة شاقة ، تبدأ بالخطوة الأولى ، ثم تتعاقب الخطوات خطوة بعد أخرى ، حتى يصل إلى المثابة المرجوة بالمثابرة والإصرار والاستمرار .

إن قراءة مصدر واحد عن قائد من القادة لا يكفي أبـداً ، فيجب قراءة المصادر كافة مهما يبلغ تعدادها ، لأن إخراج سيرة قائد واحد بشكل متكامل أو قريب من الكمال ، أجدى وأبقى من إخراج سِـيَر عدة قادة بشكل ناقص أو مشوه أو مبتور .

[٣] انصـــاف القـــــــادة :

لم تجحد أمة من الأمم قادتها العسكريين ، كما جحدت الأمة العربية والإسلامية قادتها العسكريين ، فقد لاقى القادة العرب المسلمون عقوقـاً وجحوداً من أمتهم بشكل منقطع النظير بين سائر الأمم الأخرى .

وقد عكف المؤلفون القدامى من العرب والمسلمين ، على تأليف كتب الطبقات من كل صنف ونوع ، إلا القادة العسكريين ، فلم يكن لهم نصيب أي نصيب في كتب الطبقات على الرغم من كثرتها وتعدد أصنافها وأنواعها بما لا مزيد عليه .

فهنـاك كتب طبقات المحـدثين ، وكتب طبقـات المفسـرين ، وكتب

طبقات الفقهاء في شتى المذاهب الإسلامية ، وكتب طبقات الأدباء ، وكتب طبقات الشعراء ، وكتب طبقات النحاة ، وكتب طبقات الصوفية ، وكتب طبقات الأطباء ، وحتى كتب طبقات المغنِّين . . . وغيرهم كثير . .

أما كتب طبقات القادة العسكريين ، فلا ذكر لهم في كتب الطبقات !!!

وربما يزعم من يزعم ، أن ذكر القادة العسكريين العرب المسلمين قد ورد في المصادر التاريخية وطبقات المحدِّثين وغيرها من المصادر الأخرى ، ولكن ما ورد عنهم في تلك المصادر نزر قليل من جهة ، وموزع على عشرات المصادر من جهة أخرى ، وكل مصدر يذكرهم بالنسبة لاختصاص ذلك المصدر فحسب .

ولا أعتقد أن كتب مصادر الطبقات التي دونت تاريخ الرجال العرب المسلمين الأعلام ، من مختلف الصنوف والأنواع في مختلف العلوم والآداب والفنون ، أكثر أهمية من القادة العسكريين عامة ، وقادة الفتح الإسلامي وقادة استعادة الفتح الإسلامي خاصة ، لأنهم فتحوا البلاد وحملوا الإسلام إليها بالفتح ، ولم يحملوهم على الإسلام بذلك الفتح ، ولأنهم نشروا اللغة العربية في البلاد المفتوحة ، فلم يمض زمن قصير إلا ونبغ من سكان البلاد المفتوحة علماء أعلام في العربية يتعلمون بها ويعلمون ، ويكتبون بها ويؤلفون ، ويخطبون بها ويتكلمون .

وهذه الأعمال الباهرة التي قدمها القادة العرب المسلمون لعقيدتهم ولغتهم وأمتهم ، ينبغي أن تذكر لهم بكثير من العرفان ، وتسجل في سيرة كل واحد منهم بالفخر والاعتزاز ، في صفحات مشرقة بالنور من صفحات الرجال الأفذاذ .

أليس من الغريب حقاً والمخجل أيضاً ، أن تخلو كتب الطبقات العربية

الإسلامية القديمة على كثرتها وتنوعها بحيث تضيق عن الحصر وتصعب في التصنيف ، من كتاب واحد عن : قادة الفتح الإسلامي !!!

وجاء الاستعمار القديم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، فوجد الجو مناسباً لطمس أسماء القادة العرب والمسلمين من مناهج التدريس في المعاهد والجامعات ، وإبراز القادة الأجانب في تلك المناهج ، فتخرج التلاميذ والطلاب في تلك المؤسسات التعليمية وهم جيل الاستعمار القديم ، يجهلون حتى مجرد أسماء قادتهم الذين فتحوا بلادهم وحملوا إليها الإسلام ديناً والعربية لغةً ، لأنهم شغلوا عن قادتهم الغر الميامين بقادة الاستعمار القديم ، فأصبحوا يعرفون عن نابليون بونابارت (مثلاً) كل شيء ويجهلون عن خالد بن الوليد كل شيء !!

ولم تقتصر الجهود الاستعمارية على طمس أسماء القادة العرب المسلمين وسير حياتهم على المؤسسات التعليمية المدنية ، بل شملت المؤسسات التعليمية العسكرية العربية والإسلامية أيضاً ، بل كانت الجهود الاستعمارية في المؤسسات التعليمية العسكرية أدهى وأمر وأشد إمعاناً في التخريب مما كانت عليه في المؤسسات التعليمية المدنية ، فقد كان يدرس في المؤسسات التعليمية العسكرية العربية الإسلامية في مادة : (تاريخ الحرب) ، سِيَر قادة الاستعمار الأجنبي الذين قادوا الحملات العسكرية لاكتساح البلاد العربية والإسلامية واستعبادها وإذلالها والاستحواذ على خيراتها ، فكان يُدرَّس في الكلية العسكرية العراقية الملكية للطلاب الذين يصبحون ضباطاً بعد تخرجهم في تلك الكلية ، معارك استعمار العراق في الحملة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى بأسلوب يبهر الطلاب

العسكريين بمزايا القادة البريطانيين الأجانب وبعقيدتهم العسكرية الأجنبية في القتال ! !

والمعنويات العالية ، هي التي تقود العسكري إلى النصر ، ولا نصر مع المعنويات المنهارة ، والضابط العربي المسلم يتخرج في كليته العسكرية محطم المعنويات مشلول الإرادة ، مبهوراً بالعقيدة العسكرية التي تحتل بلاده وبالعسكريين الذين اغتصبوها ، يؤمن بأن الأجنبي متفوق عليه عسكرياً وفكراً وعقيدة فلا مجال للحاق به أو منافسته ، وليس له إلّا أن يستخذي للمستعمر ويستجدي رحمته وعطفه ويستسلم له ، وهنا بيت القصيد .

ومضى الاستعمار القديم إلى غير رجعة ، فاستقلت الدول العربية الإسلامية بخروج الاستعمار القديم ورحيله عنها ، ولكنها بقيت تعاني عقابيل الاستعمار الفكري الذي لا يزال مُعَشْعشاً فيها ، وابتليت بالاستعمار الحديث بعد أن تخلصت من الاستعمار القديم ، إذ خرج القديم من الأبواب ودخل الحديث من النوافذ ، وبقي جيل الاستعمار القديم مسيطراً على التعليم والمؤسسات التعليمية ، ينفث سموم ما لقنه المستعمر في عقول التلاميذ والطلاب .

أليس من المذهل حقاً أن أوجِّه هذا السؤال إلى معارفي من المثقفين ، ومنهم أساتذة للتاريخ في الجامعة : ما اسم القائد الذي فتح المدينة التي نعيش فيها ؟ فلم أسمع جواباً ! ! أو سمعت جواباً بعيداً عن الصواب !

ذلك هو مبلغ ما وصل إليه العرب والمسلمون من عقوق شنيع لقادتهم ، وهذا هو الواقع المرير .

[٤] كتـــابة سِـــــيَر القـــــادةالعسكريين :

(أ) ومن الطبيعي أن يبادر القادرون على كتابة سِـــيَر القادة العسكريين إلى العمل الجاد لإخراج سيرهم في كتب للناس ، لعل كل عربي مسلم يعرف القائد الذي فتح بلده ، وهذا أضعف الإيمان ، ولعل سيرهم الباهرة تطهر عقول الذين بُهروا بالقادة الأجانب وقلوبهم من أدرانها التي علقت بها بتأثير المناهج الدراسية للمستعمر الحاقد ، ولعل شباب العرب والمسلمين يقتدون بسيرهم الغنية بالرجولة والشجاعـة والإقدام والتضحيـة والفداء ، ويقتفون آثارهم الفذة ليصلوا إلى النتائج نفسها التي حققها أولئك القـادة العظام .

ولعل العرب والمسلمين أيضـاً ، يوقنـون أن قادتهم أعـظم من القادة الأجانب وأكثر كفاية واقتداراً ، وأن ما غرسه المستعمر في نفوسهم من تفوق الأجنبي ما هو إلاَّ حـديث خرافـة بعيد عن الـواقع والحق ، وأن العـرب والمسلمين أمة لا تقل شأناً عن سائر الأمم ، وبإمكانها أن تأخذ مكانتهـا المرموقة بين الأمم الأخرى .

وأخيراً ، لعل المدارس والمعـاهد والكليـات المدنيـة والعسكريـة ، تُثْبِتُ في منـاهجها دراسـة سِـيَر قـادة العـرب والمسلمين ، وتمحـو من مناهجها سير القادة الأجانب ، وبذلك يستبدلون الذي هو خير بالذي هو أدنى ، فيتخرج التلاميذ والطلاب العرب والمسلمون في تلك المـدارس والمعاهد والجامعات المدنية والعسكرية ، وعقولهم وقلوبهم معاً طاهرة من سموم الاستعمار الفكري البغيض .

وأحب أن أضع زبدة تجاربي في كتابة سير قادة الفتح الإسلامي وقادة استعادة الفتح الإسلامي بين أيدي الذين يحبون أن يشاركوا في العمل بهذا الميدان .

إن الإفاضة في قراءة أكبر عدد من المصادر لكتابة سيرة قائد من القادة ضروري جداً ، فذلك وحده يخرج سيرته قريبة من الكمال ، أما الاكتفاء بقراءة عدد محدود من المصادر اقتصاداً بالوقت أو توفيراً للجهد ، فيؤدي إلى إخراج سيرته بعيدة عن النضوج .

ودراسة القادة لا ينبغي أن تقتصر على المشاهير منهم دون المغمورين ، بل يجب أن تشمل على المشهورين والمغمورين أيضاً ، وقد اكتشفت أن قسماً من القادة المغمورين فتحوا بلاداً أوسع من العراق ومصر مساحة وأكثر منهما سكاناً ، ولكنهم بقوا مغمورين في صفحات المصادر المعتمدة ، وكأنهم لم يفتحوا بلداً ، ولم يجاهدوا في الله حق جهاده !

إن بعث القادة المغمورين أهم بكثير من كتابة سِيَر القادة المشهورين ، ولكن الكتابة عن المغمورين أصعب بكثير من الكتابة عن المشهورين ، لأن المغمورين اكتشاف ، والمشهورين اقتباس ، فلا ينبغي اختيار الطريق الممهدة وتجنب الطريق الصعبة ، فهي الطريق الوحيدة التي تؤدي إلى اكتشاف جديد .

وللقادة العرب والمسلمين سماتهم ومزاياهم التي تناسب عصرهم وعقيدتهم وتقاليدهم ، فيجب الإبقاء على تلك السمات والمزايا كما هي ، وكما كانت على أصحابها ، دون أن نبقي أسماءهم كما هي ، ونمسخ سيرتهم بإضافة سمات ومزايا جديدة إليهم ، لم يكونوا يعرفونها ولم

يسمعوا بها ، ولا كانوا يحلمون بها ، ولو عادوا إلى الحياة لاشمأزوا منها ورفضوها .

لقد عاشوا قبل أربعة عشر قرناً ، والقادة الأجانب الذين عاشوا في القرن الحالي اقتبسوا منهم - إذا فعلوا ذلك حقاً - أما إذا لم يفعلوا فلا ينبغي أن ندعي لقادتنا ما ليس لهم بحق ، إذ لا يزيد في قدرتهم وقيمتهم هذا الادعاء ، وإسباغ سمات ومزايا القادة الأجانب عليهم خطأ فاحش ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على إعجابنا الشديد إلى حد الانبهار بالقادة الأجانب كأثر من آثار الاستعمار الفكري المستحوذ على عقول الذين يقعون في مثل هذا الخطأ الشنيع ، كما أن قادتنا أعظم قدراً ومنزلة من القادة الأجانب لأنهم أكثر فتحاً وأرسخ عقيدة وأعظم شجاعة ، فإذا شبَّهناهم بالقادة الأجانب كما فعل قسم من المؤلفين ، فقد قلَّلنا من أقدارهم ومنزلتهم وأسأنا إليهم من حيث أردنا الإحسان . . وهذا ما لا يقبله العقل ولا يرتضيه المنطق ، ولا يقره الوجدان ، ويأباه القادة العرب المسلمون .

(ب) ونعود إلى أسلوب كتابة سِيَر القادة العرب المسلمين : هل نقلد الأسلوب الأجنبي في الإطناب الممل ، كالذي اتخذه طلاب الدراسات العليا في إعداد رسائلهم ، أم نقلد أسلوب (المتون) في الإيجاز المخل ، كالذي اتخذه كتاب (المتون) التي تحتاج إلى (الشروح) على (المتون) ، ثم تكون (التعليقات) على الشروح ؟

لقد قلد قسم من الذين حاولوا الكتابة عن قائد أو أكثر من قائد من قادة العرب والمسلمين الأسلوب الأجنبي ، فأخرجوا للناس كتاباً ضخماً عن قائد واحد ، يمكن اختصاره في صفحات معدودات دون مغادرة شاردة أو واردة من المعلومات الواردة في الكتاب إلا أحصتها ، وما بقي من سائر صفحات الكتاب حشو ولغو وتكرار مبتذل .

وبالإمكان أن أضرب مثلاً على ذلك ، فقد ورد في أحد المصادر العربية القديمة ، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه هو الذي فتح مصر ، ومؤلف هذا المصدر أورد هذا الخبر مسنداً إلى رواته الذين لا يعتمد على روايتهم ولا يؤخذ بها ، لأنهم ضعفاء لا ثقة بما يقولون .

ومؤلف هذا المصدر المذكور ، أورد هذا الخبر بهذا الشكل من الإسناد الضعيف ، ليقول بصورة غير مباشرة : إن الخبر عن خالد لا نصيب له من الصحة ، ولكنه ذكره في مصنفه ليدل على الخبر المكذوب ، لأنه أورد أن فاتح مصر هو عمرو بن العاص بإسناد متين ، وهـذا هو منتهى الـدقة في الأمانة العلمية لتدوين الأخبار .

ولكن المؤلف الحديث ، ناقش بإطناب : هل فتح خالد مصـر أم لم يفتحها ؟ واستغرقت مناقشتة أكثر من عشر صفحات من القطع المتوسط ، فضيَّـع وقتـه الثمين دون مســوِّغ ، لأنــه اعتمـد الأسلوب الأجنبي في التدوين .

وأخشى أن يكون ذلك المؤلِّف يعتبر أهمية الكتاب تقدر بوزنه لا بما فيه من فائدة ، فضاعف وزن كتابه باللغو من القول .

والأسلوب الذي أراه مناسباً في كتابة سِيَر القادة العرب المسلمين ، ليس الأسلوب الأجنبي الذي يعتمد الإطناب ، ولا أسلوب تدوين (المتـون) الذي يعتمد الإيجاز ، بل الأسلوب الوسط الذي يكتفي بنقل الحقائق من مصادرها المعتمدة التي تُعين على استنتاج سمات القائـد ومزايـاه إنسانـاً وقائداً ، واستنتاج ما يفيد العرب والمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم .
وهـذا الأسلوب الـوسط يُـدوَّنُ بكلمـات عـربيـة أصيلة ، بعيـدة عن

الكلمات الأجنبية الدخيلة ، فالعربية الفصحى لغة القرآن الكريم ليست عاجزة عن التعبير الرائع البليغ المعبر المفهوم في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون ، بعد أن استطاعت التعبير الواضح الوافي البليغ في كتاب الله ، وحملت قروناً طويلة في تعبيرها الفصيح شتى أنواع المعارف الإسلامية بكفاية واقتدار .

ويبدو لي أن قسماً من الكتاب العرب المسلمين مغرمون غراماً شديداً بترصيع ما يكتبون بالكلمات الأجنبية الدخيلة ، وهؤلاء بدون شك يعانون من أدران الاستعمار الفكري البغيض إذا كانوا يتقنون العربية الفصحى ، أما إذا كانوا لا يتقنونها ، فلماذا يحملون أنفسهم ما لاتطيق بالكتابة والتأليف ، والله لا يكلف نفساً إلا وُسْعَهَا .

وقد صدرت المعجمات العسكرية الموحَّدة وأصبحت متيسرة في المكتبات العامة والخاصة ، وهي تغطي المصطلحات العسكرية الأجنبية بمصطلحات عسكرية عربية .

كما صدرت مجموعات المصطلحات الأدبية والعلمية والفنية الأجنبية التي وضعت المجامع اللغوية والعلمية ما يقابلها من مصطلحات عربية .

فبماذا نعلِّل إصرار قسم من الكتاب العرب على استعمال المصطلحات الأجنبية ، بعد صدور المصطلحات العربية الأصيلة !!
أيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير !

(ج) وترد في المعارك التي خاضها القادة العرب المسلمون أسماء مواقع وأماكن ومدن وجبال ووديان وأنهار وبحيرات وبحار وصحارىٰ .

والبلدانيون العرب والمسلمون القدامىٰ لم يقصروا أبداً في شرح تلك المواقع شرحاً مفصلاً تارة ومختصراً تارة أخرى .

ومن المفيد أن نشرح تلك المواقع الواردة في معارك القادة بما يكفي لتوضيحها للقراء والدارسين ، وبيانها على الخرائط القديمة ، إن وجدت ، والحديثة مفيد أيضاً .

إن العرب والمسلمين ، يتمنون على الله أن يُكتب تاريخ قادتهم بشكل يدعو إلى الفخر والاعتزاز ، ولن يكون ذلك بتغريبهم أو تشريقهم ، فما كانوا يتقبلون هذا التشريق أو التغريب ، ويرفضون إلا أن يبقوا كما كانوا عرباً مسلمين .

وعلى الذين يريدون كتابة تاريخهم أن يضعوا هذا الهدف الحيوي نصب أعينهم ، وليس تحقيقه عليهم بعزيز .

٦

الفصل الرابع

تحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي ونشره

[١] أهميـــة التحقيق والنشـــر :

التراث لغــة : هو ما وُرِث ، وقد ورث العرب والمسلمون عن أجدادهم من جملة مـا ورثـوا ، مؤلفـات قيِّمـة في شتى مجـالات العلوم والآداب والفنون ، فاستطاع الناشرون إخراج كثيـر من المؤلفات العلميـة والأدبية والفنية القيمة إلى النَّاس محققة تارة وبدون تحقيق تارة أخرى .

وفي الـوقت الذي حـظي كثير من التـراث العربي الإسـلامي الأصيل بالتحقيق والنشر ، فإن حظ تحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي بقي

عاثراً ، فلم يحقق حتى اليوم غير عدد محدود من التراث العسكري العربي الإسلامي العريق .

وإعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية بشكل واضح وأسلوب حديث ، بحاجة ماسة إلى تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره ، لأنه يعين على تفهم سير القتال في المعركة وطريقة توزيع قوات الجانبين في تشكيلات تعبوية ، وطريقة عمل كل تشكيل قتالي في المعركة ، كما يعين على شرح الأسلحة التي استخدمها الجانبان في المعركـة ، ومزايـا تلك الأسلحة ، وأسلوب عملها في القتال .

ولعل تحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي ، يكمل إعادة كتابة التاريخ العسكري العريق الإسـلامي وإعادة كتـابة العسكـرية الإسـلامية بأسلوب واضح جديد .

لقد انتصر المسلمون الأولون بعقيـدتهم الراسخـة ، ولكن معلوماتهم العسكرية النظرية والعملية كانت على درجة رفيعة جداً من التقدم والرقي .
ولم تكن المعلومات مدونة في الكتب أيام الفتوح واستعادة الفتـوح ، ولكنها دوِّنت في العصر العباسي .
أما السلف الصالح من الفاتحين ، فقد كانوا قبل عصر التدوين ، يتلقون المعلومات العسكرية العملية والنظرية خلفاً عن سلف ، ويمارسون تلك المعلومات عملياً في ميدان القتال ، والممارسة العملية خير مدرسة كما هو معلوم .

وبعد تدوين العلوم العسكرية في العصـر العباسي وفي العصـور التي جـاءت من بعده ، أصبحت للعـرب مؤلفات عسكـرية مـدونة ، فـورثها أبناؤهم تراثاً عسكرياً عربياً إسلامياً أصيلاً من المؤلفات العسكريـة التي

لا تقل أهمية عن كتب التراث الأخرى في العلوم والآداب والفنون .

والتراث العسكري العربي الإسلامي جزء من الحضارة العربية الإسلامية ، وهذه جزء من الحضارة العالمية .

وتحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي ونشره ، خدمة كبيرة للحضارة العربية الإسلامية وللحضارة العالمية أيضاً .

فلا ينبغي إهمال هذا التراث ، إذ لا يزال ينتظر من يحققه وينشره بين الناس .

[٢] غزارة التراث العسكري :

إن التراث العسكري العربي الإسلامي ، يعمر مكتبات أوروبا ومتاحفها ، ويتيسر في مكتبات العالم كافة ومتاحفها ، وتزخر به مكتبات المخطوطات العربية في شتى أصقاع العالم ، ويحوي معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية على جزء مهم من هذا التراث العريق .

وحسبنا أن نتصفح كتاب : (فهرست ابن النديم) الذي عدد فيه مؤلفه : « الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم » ، لنتلمس بوضوح أي تراث عسكري أصيل كان للعرب والمسلمين منذ عدة قرون .

ومن مقارنة ما جاء في : (**فهرست ابن النديم**) عن الكتب التي اطلع عليها في عصره وسجلها في كتابه ، بالمؤلفات العربية الإسلامية المعروفة

في الوقت الحاضر ، يتبين لنا أن كثيراً من التراث العسكري العربي الإسلامي لا يزال مفقوداً .

ولكن ما وصل إلينا من المخطوطات العربية ، يدل على أن العرب المسلمين بلغوا شأواً بعيداً في العلوم والفنون العسكرية ، وأنهم لم يقتصروا على علوم الدين والفلسفة والعلوم العقلية والنقلية والتاريخ والأدب ، بل كان لهم في العلوم العسكرية باع طويل وقدم راسخة .

وهذا التراث قسمـــان :

القسم الأول : ألّفه العرب والمسلمون .

والقسم الثاني : نقلوه عن الأمم الأخرى ، كالفرس والروم والهنود ، حسب أسبقية ذكرها في كمية النقل .

والتراث العسكري العربي الإسلامي بالنسبة لكتبه عدة أنواع : كتب للتدريب على الرمي ، وكتب للتدريب على الفروسية ، وكتب في صفات الأسلحة والتدريب عليها وأساليب استعمالها ، وكتب في الأسلحة الهجومية ككتاب الدبابات والمنجنيقات والحِيَل والمكايد ، وكتب للتدريب التعبوي ، ككتاب أدب الحروب ، وفتح الحصون والمدائن ، وتربيص الكمين ، وتوجيه الجواسيس والطلائع والسرايا ، ووضع المسالح ، وكتب عسكرية عامة تشمل التدريب على الأسلحة ، وعلى القضايا التعبوية ، ككتاب « الحيل » للهرثمي الشعراني الذي ألّفه للمأمون الخليفة العباسي وحُقِّق ونُشر جزء منه (ابن النديم : ٣١٤ ـ ٣١٥) .

وهناك تراث عسكري عربي إسلامي في البيطرة ، وعلاج الدَّواب وصفات الخيل واختيارها (ابن النديم : ٣١٥) ، وقد كان للخيل أثر عظيم

في الحروب القديمة ، لذلك ألَّف العرب المسلمون كثيراً من الكتب في الخيل وعلاجها وصفاتها ومزاياها والتدريب عليها وتدريبها ، ككتاب : « فضل الخيل » الذي صنعه الشيخ عبد المؤمن الدمياطي المتوفى سنة (٧٠٥هـ) ، وكتاب : « رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد » للشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة (١٩٠٨هـ) (طبعا في المطبعة العلمية بحلب ـ ١٣٤٩هـ) .

تلك لمحات عن كتب التراث العسكري العربي الإسلامي ، تدل على أنها تغطي أنواع التدريب والتعليم في القوات المسلحة ، ولا تغفل أنواع الأسلحة وآليتها وأسلوب استعمالها ، وأنواع الدواب وعلى رأسها الخيل ومداواة الدواب وإدارتها وتدريبها والتدريب على الفروسية .

وهذه ثروة ضخمة من الثقافة العسكرية لا ينبغي التفريط بها وإهمالها .

[٣] جمع النصوص[٨] :

إن أعلى النصوص قيمة وأكثرها أهمية ، هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة دوَّنها المؤلف بنفسه ، أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازها ، ويكون في النسخة ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها .

(٨) تحقيق النصوص ونشرها ـ عبد السلام هارون (٢٧ ـ ٣٨) ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ ـ ط٢ .

وأمثال هذه النسخ تسمى : نسخــة الأم .

وتلي نسخة الأم النسخة المأخوذة منها ، ثم فرعها ، ثم فرع فرعها ، وهكذا .

وقد يخلو قسم من المخطوطات من بعض هذه الحدود ، فيكون ذلك مدعاة للتحقيق وموجباً للبحث الأمين ، حتى يؤدى النص تأدية مقاربة .

وهذا الضرب من المخطوطات يعد أصولاً ثانوية إن وجد معها الأصل الأول ، وأما إذا عُدم الأصل الأول ، فإن أوثق هذه المخطوطات يرتقي إلى مرتبته ، ثم يليه ما هو أقل منه وثوقاً .

والنسخ المطبوعة التي فقـدت أصولهـا أو تعذر الـوصول إليهـا يمكن اعتبارها أصولاً ثانوية في التحقيق إذا كان ناشرها يوثق به ويطمئن إليه ، أما الطبعات التجارية فهي نسخ مهدرة ، ومن الإخلال بأمانة العلم والأداء أن يُعتمد عليها في التحقيق .

وأما المصورات من النسخ ، فهي بمنزلة أصلها ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدي أصلها كل الأداء ، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة أولى ، ومصورة النسخة الثانوية ثانوية أيضاً .

وهنا تعرض مشكلة المسودات والمبيضات ، وهو اصطلاح قديم جداً ، ويراد بالمسودة : النسخة الأولى للمؤلف قبل أن يهذبها ويخرجها سوية ، وأما المبيضـــة : فهي التي سويت وارتضاها المؤلف كتاباً يخرج للناس .

ومسودة المؤلف إن ورد نص تاريخي على أنه لم يخرج غيرها ، كانت هي الأصل ، وإن لم يرد نص كانت في مرتبة النصوص الأولى ، مـا لم تعارضها المبيضة ، فإنها تكون في مرتبة النصـوص الأولى ، لأن مبيضة

المؤلف هي الأصل الأول ، وإذا وجدت معها مسودة كانت أصلاً ثانوياً لتصحيح القراءة فحسب .

على أن وجود نسخة للمؤلف لا يدلنا دلالة قاطعة على أن هذه النسخة هي النسخة عينها التي اعتمدها المؤلف ، لأن قسماً من المؤلفين يؤلف كتابه أكثر من مرة ، لهذا فإن نسخة المؤلف قد تتكرر ، ولا يمكن القطع بها ما لم ينص هو عليها .

وضح مما سبق أن منازل النسخ هي : نسخة المؤلف ، ثم النسخة المنقولة منها ، ثم فرعها وفرع فرعها ، وهكذا .

ومن البديهي أنه لا يمكن بوجه قاطع أن نعثر على جميع المخطوطات التي تخص كتاباً واحداً إلا على وجهٍ تقريبي ، فمهما يجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات ، فإنه سيجد وراءه معقباً يستطيع أن يظهر نسخاً أخرى من المخطوطات ، وحسب المحقق أن يبذل قصارى جهده في العثور على أكبر عدد من المخطوطات لكتابه الذي يزمع تحقيقه ، والكمال لله وحده .

[٤] التحـــــقيق[٩] :

أصل التحقيق من قولهم : حقَّقَ الرجلُ القولَ : صدقه أو قال : هو الحق . والجاحظ يسمي العالم المحقق : محقاً ، قال : « إنه لم يخل زمن

(٩) تحقيق النصوص ونشرها (٣٩ ـ ٩٥) .

من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلا وفيه علماء محققون قرأوا كتب من تقدمهم ودارسوا أهلها » ، والإحقاق : الإثبــات ، يقال : أحققت الأثر إحقاقاً ، إذا أحكمته وصححته .

والتحقيق يشمــل : تحقيق عنوان الكتــاب ، وتحقيق اسم المؤلف ، وتحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، وتحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقـدر الإمكان مقارباً لنص مؤلفه .

وتحقيق عنوان الكتاب ليس هيناً ، لأن بعض المخطوطات يكون خالياً من العنوان ، إما لفقد الورقة الأولى منها ، أو انطماس العنوان ، أو لإثبات عنوان جلي واضح ، ولكنه يخالف الواقع إما بداعٍ من دواعي التزييف ، أو لجهل قارىء ما وقعت إليه نسخة مجردة من عنوانها فأثبت ما خاله عنوانها .

والمحقق بحاجة إلى الرجوع إلى كتب المؤلفـــات ، كابن النديم ، أو كتب التراجم ، أو يتاح له الظفر بطائفة من نصوص الكتاب مضمنة في كتاب آخـر ، أو أن يكون لـه إلْفٌ خاص أو خبـرة خاصـة بـأسلوب مؤلف من المؤلفين وأسماء ما ألف من الكتب ، فتضع تلك الخبرة في يـده الخيط الأول للوصـــول إلى حقيقة عنوان الكتاب .

وتحقيق اسم المؤلف ، لابد أن يكون مصحوباً بالحذر ، فليس يكفي أن نجد عنوان الكتاب واسم مؤلفه في ظاهر النسخة لنحكم بأن المخطوطة من مؤلفـات صاحب الإسم المثبت ، بـل لابد من إجـراء تحقيق علمي يطمئن معه الباحث إلى أن الكتاب نفسه صادق النسبة إلى مؤلفه .

وأحياناً تفقد النسخة النص على اسم المؤلف ، فمن العنـوان يمكن التّهــدي إلى ذلـك الإسم ، بمــراجعـة فهــارس المكتبـات ، أو كتب المؤلفات ، أو كتب التراجم التي أُخرجت إخراجاً حديثاً وفُهرست فيهـا

الكتب ، كمعجم الأدباء لياقوت ، أو غير ذلك من الوسائل العلمية .

والمحقق إذا عثر على طائفة معقولة من الكتاب منسوبة إلى مؤلف معين في نقل من النقول ، كان ذلك مما يؤيد ما يرجحه أو يقطع به في ذلك .

وقد يعتري التحريف والتصحيف أسماء المؤلفين المثبتة في الكتب ، فالنصري قد يصحف بالبصري ، والحسن بالحسين ، وهـذا يحتاج إلى تحقيق لا يُكتفى فيه بمرجع واحد ، فقد يكون ذلك المرجع فيه عين ذلك التصحيف أو تصحيف آخـر أقسى منه ، فليس هنـاك بـدٌّ من الاطمئنـان بالبحث العلمي الواسع .

وما قيل في تزييف العناوين ، يقال أيضاً في تزييف أسماء المؤلفين ، لذلك لم يكن بد من أن يتنبه المحقق لهذا الأمر الدقيق .

وليس بالأمر الهين أن نؤمن بصحة نسبة أي كتـاب كان إلى مؤلفـه ، ولا سيما الكتب الخاملة التي ليست لهـا شهرة ، فيجب أن تُعـرض هذه النسبة على فهارس المكتبات والمؤلفات وكتب التـراجم ، لنستمد منهـا اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتســاب .

على أن معرفة منزلة المؤلف العلمية ، مما يسعف في التحقيق بنسبة الكتاب ، ولكن بعض المؤلفين تتفاوت منزلتهم العلمية اختـلافاً ظـاهراً بتفاوت أعمارهم ، وباختلاف ضـروب التأليف التي يعـالجونهـا ، فنجد المؤلف الواحد يكتب في صدر شبابه كتاباً ضعيفاً ، فـإذا علت به السن وجدت بوناً شاسعاً بين يوميه ، وهو كذلك يكتب في فنٍ من الفنون قويـاً مُتْقِناً ، على حين يكتب في غيره وهو من الضعف على حال ، فلا يصح أن يُجعل هذا القياس حاسماً باطراده في تصحيح نسبـة الكتاب .

وتعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس في تصحيح نسبة الكتاب أو تزييفها ، فالكتاب الذي تحشد فيه أخبار تاريخية تالية لعصر مؤلفـه

الذي نسب إليه ، جدير بأن يُسقط من حساب ذلك المؤلف .

أما تحقيق متن الكتاب ، فمعناه أن يُؤدىٰ الكتاب أداءً صادقاً كما وضعه مؤلِّفه كماً وكيفاً بقدر الإمكان ، وليس معنى تحقيق الكتاب أن نتلمس للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه ، أو نُحل كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوىٰ أن أولاهما أولى بمكانها أو أجمل أو أوفق ، أو ينسب صاحب الكتاب نصاً من النصوص إلى قائل وهو مخطىء في هذه النسبة ، فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب ، أو أن يخطىء في عبارة خطأً نحوياً دقيقاً فيصحح خطأه في ذلك ، أو أن يوجز عبارته إيجازاً مُخلاً فيبسِّط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال .

ليس تحقيق المتن تحسيناً أو تصحيحاً ، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف ، وحكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها ، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير .

وقد يقال : كيف نترك ذلك الخطأ يشيع ، وكيف نعالجه ؟

إن المحقق إن فطن إلى شيء من ذلك الخطأ ، نبَّه عليه في الحاشية أو في آخر الكتاب ، وبين وجه الصواب فيه ، وبذلك يحقق الأمانة ، ويؤدي واجب العلم .

ويجب أن يستشعر المحقق الحذر الكامل في تحقيق الآيات القرآنية ، وألا يركن إلى أمانة غيره في ذلك مهما بلغ قدره .

وإبقاء النص القرآني المحرف كما هو في الصلب ، فيه مزلة للأقدام ، فإن خطر القرآن الكريم يجل عن أن نجامل فيه مخطئاً ، أو نحفظ فيه حق مؤلف لم يلتزم الدقة فيما يجب عليه فيه أن يلزم غاية الحذر .

واختبار النصوص القرآنية لا يكفي فيها أن نرجع إلى المصحف

المتداول ، بل لابد فيه من الرجوع إلى كتب القراءات السبع ، ثم العشر ، ثم الأربع عشرة ، ثم كتب القراءات الشاذة ، وفي كتب التفسير يلجأ إلى تلك التي تُعنى عناية خاصة بالقراءات ، كتفسير القرطبي وأبي حيان .

وأما نصوص الحديث ، فيجب أن تختبر بعرضها على مراجع الحديث ، لقراءة نصها وتخريجها إن أمكن التخريج .

وهذا أيضاً هو واجب المحقق إزاء كل نص من النصوص المضمنة ، من الأمثال والأشعار ونحوها ، فيجب أن يتجه إلى مراجعها ، ليستعين بها في قراءة النص وتخريجه إن أمكن التخريج .

وهذه الضروب الثلاثة من النصوص ، هي أخطر ما يجب فيه الدقة والحرص والتريث ، وليس معنى ذلك أن نستهين بغيرها ، ولكن معناه أن نبذل لها من اليقظة ، ونستشعر لها من الحرص ، ما يعادل خطرها البالغ .

إن التحقيق أمر جليل ، وإنه يحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف ، وتحقيق النصوص محتاج إلى مصابرة وإلى يقظة علمية ، وإلى سخاء في الجهد الذي لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد ، أو أيام معدودات .

[٥] الإضافات الجديدة(١٠) :

يجري تقديم النص ، التعريف بالمؤلف ، وبيان عصره ، وما يتصل بذلك من تاريخ ، وقد كان الناشرون القدماء يُعْنَوْنَ بهذا بعض العناية ،

---

(١٠) تحقيق النصوص ونشرها (٧٧ ـ ٩٤) .

وربما اقتصر جهدهم على نقل نص من كتاب معين يتضمن التعريف بالمؤلف ، وكثيراً ما وضعوا ذلك التعريف في صفحة العنوان أو في الخاتمة .

كما يقتضي كذلك عرض دراسة خاصة بالكتاب وموضوعه ، وعلاقته بغيره من الكتب التي تمت إليه بسبب من الأسباب .

كما ينبغي تقديم دراسة فاحصة لمخطوطات الكتاب ، مقرونة بالتحقيق العلمي الذي يؤدي إلى صحة نسبة الكتاب والاطمئنان إلى متنه ، وجدير بالمحقق أن يشرك القارىء معه ، بأن يصف له النُّسخ التي عوَّل عليها وصفاً دقيقاً يتناول خطها وورقها وحجمها ومدادها وتاريخها وما تحمله من إجازات وتمليكات ، ويتناول كذلك كل ما يُلْقي الضوء على قيمتها التاريخية ، وهو إن قرن ذلك بتقديم بعض نماذج مصورة لها ، كان ذلك أجدر به وأولى .

وإعداد الكتاب للطبع مهم جداً ، إذ أن لهذا الإعداد أثره البالغ في ضبط العمل وإتقانه ، فالأصل المعد للنشر يجب أن يكون دقيقاً مراجعاً تمام المراجعة ، مراعى في كتابته الوضوح والتنسيق الكامل ، ويكون ذلك بكتابة النسخة بعد التحقيق والمراجعة بالخط الواضح الذي لا لبس فيه ولا إيهام ، وأن يكون مستوفياً لعلامات الترقيم ، وأن يكون منظم الفقار والحواشي .

وينبغي معالجة تجارب الطبع ، وهو فن يحتاج إلى مزاولة طويلة متنبهة إلى مزلات التصحيح ، والأفضل أن يتولى المحقق معالجة تجارب الطبع

بنفسه ، ويستحسن أن يستعان في معالجة التجربة الأخيرة بعين أخرى غير عين المحقق ، لأن القارىء الغريب قد يكون أيقظ نظراً وأدق انتباهاً .

وصنع الفهارس الحديثة له المقام الأول بين الإضافات الجديدة ، إذ بدونها تكون دراسة الكتب ، ولا سيما القديمة منها عسيرة كل العسر ، فالفهارس تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التَّهدِّي إليها ، كما أنها معيار توزن بها صحة نصوصها ، بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه .

وقد أصبح عصرنا الحديث المعقد في حاجة ملحة إلى اختزال الوقت ، وإنفاق كل دقيقة منه في الأمر النافع .

وللفهارس سابقة قديمة عند العرب في كتب الرجال والتراجم والبلدان ، ومعجمات اللغة ، وقد اقتبس العرب من الغرب فهارس الأعلام والقبائل والبلدان والشعر والأيام والأمثال والكتب وأضافوا فيها ضروباً أخرى كثيرة . ولكل كتاب منهج خاص في فهرسته دون التقيد بالطرق العامة للفهارس ، وهي الطرق التقليدية القديمة ، والتي كانت حديثة بالأمس ، إذ أن الفهارس ما وضعت إلا لتمكين القارىء من أن ينتفع بالكتاب غاية الانتفاع .

وترتيب الفهرس مع غيره من الفهارس أمر هام ، فإن المنهج المنطقي يقتضي تقديم أهم الفهارس وأشدها مساساً بموضوع الكتاب ، فإن كان الكتاب كتاب تراجم وتاريخ قُدِّم فيه فهرس الأعلام ، أو كتاب أمثال قُدِّم فهرس الأمثال ، أو قبائل قُدِّم فهرس القبائل . . . وهكذا . ثم تساق بعده سائر الفهارس مرتَّبة حسب ترتيبها المألوف .

ومهما أجهد المحقق نفسه وفكره في إخراج الكتاب ، فلابد أن تفوته بعض التحقيقات أو التوضيحات ، أو يزل فكره أو قلمه زلّة تقتضي المعالجة . وفي باب : الاستدراك والتذييل الذي يلحق غالباً بنهاية الكتاب ، مجال واسع لتدارك ما فات محقق الكتاب أو شارحه ، أو مازلّ فيه فكره أو قلمه .

[٦] في خصوصية تحقيق التراث العسكري :

لا يختلف تحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي عن تحقيق سائر التراث العربي الإسلامي في المبادىء الأساسية ، ولكنه يختلف عنها في التفاصيل العامة التي فرضتها على التراث العسكري طبيعته العسكرية في المصطلحات العسكرية ، والمصطلحات الفقهية ، والمصطلحات التعبوية ، ومصطلحات الأسلحة المختلفة بما فيها الأسلحة غير المعروفة أو غير الشائعة في هذه الأيام .

والمصطلحات العسكرية العربية في التراث العسكري ، لابد من شرحها شرحاً وافياً ، مثل : العريف ، النقيب . . . في أسماء الرتب ، مع ملاحظة أن معاني هذه المصطلحات في تطور مستمر ، ويمكن الاطلاع على الرتب العسكرية وتطورها في « صبح الأعشى » للقلقشندي .

وكذلك في أسماء الوحدات العسكرية القديمة مثل : حضيرة ، فصيلة ، سرية ، كتيبة ، جيش ، كردوس . . . إلخ ، فينبغي شرح هذه المصطلحات الخاصة بالوحدات العسكرية أيضاً ، ومعجمات اللغة العربية تيسر هذا الشرح .

وكذلك في المصطلحات التعبوية : المقدمـة ، المؤخرة ، السَّاقة ، الجريدة ، الميمنـة ، الميسرة ، الكمين ، الربيئـة . . . إلـخ . فينبغي شرح هذه المصطلحات الخاصة بالقضايا التعبوية ، وكتب اللغة تيسِّـر هذا الشرح ، وعلى رأسها « المخصص » لابن سيده .

وكـذلك في مصـطلحات أسمـاء الأسلحة المختلفـة ، كـالمنجنيق ، والعرادة ، والجوشن . . . إلخ . فينبغي شرحها وبيان طريقة استعمالها ، وتعزيز الشرح بالمخططات التوضيحيـة ، وفي « المخصص » لابن سيده ما يفيد في الشرح ، وفي المعجمات العربية وكتب الأدب ما يعين المحقق كثيراً .

وكـذلك في المصـطلحات الفقهيـة ، وخـاصـة في التـراث الخـاص بالجهاد ، مثل : فَـرْضُ عَيْن ، وفرض كفاية . . . إلخ . وشروح الكتب الفقهية تفيد كثيراً في شرح هذه المصطلحات ، ولكن من الضروري إثبات ما يقابلها في المصطلحـات العسكريـة الحديثـة لتوضيـح معانيهـا للقراء والدَّارسين .

وينبغي وضع المصطلحات العسكرية الحديثة إلى جانب المصطلحات العسكرية القديمة ، زيـادة في الشرح ، لكي يتفهم العسكـري الحديث خاصة معاني المصطلحات العسكرية القديمة ، ويتفهمها القراء والدارسون من غير العسكريين عامة ، وتكون هذه الشروح في الهامش لا في المتن .

والمعجم العسكري الموحَّـد بأجـزائه الأربعـة : عربي ـ إنكليـزي ، وانكليزي ـ عربي ، وفرنسي ـ عربي ، وعربي ـ فرنسي . يقدِّم للمحقق المصطلحات العسكرية الحديثة ، وهي المصطلحات التي اعتمدتها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في جامعة الدول العربية المؤلفة من ممثل واحد لكل جيش عربي ، وممثل لمجمع اللغة العربية في

القاهرة ، وممثل للقيادة العربية الموحـــدة ، وهي المصطلحات التي أقرتها لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية ، فلا عذر لمن ينحرف عنها أو يحيد عن استعمـالها من الجيـوش العـربيـة ومن المحققين العسكـريين وغيـر العسكريين أيضاً .

ومن الضـروري تنظيم فهـرس بالمصـطلحات العسكـريـة القـديمــة وما يقابلها في المصطلحات العسكريـة الحديثـة ، ويلحق هذا الفهـرس بالفهارس الأخرى في آخر الكتاب المحقَّق ، على أن يُقدم هذا الفهرس على الفهارس الأخرى في أسبقية ترتيب الفهارس ، لأهميته بالنسبة لذلك الكتاب .

تلك هي أهم مـــا يقتضي للمحقق الانتبـاه إليـــه في تحقيق التـــراث العسكري العربي الإسلامي .

[٧] التــراث العســـــكري المغبـــون :

حقق كثير من العلمـــاء الأعلام كثيـراً من التراث العـربي الإسلامي وأخرجوه للناس ، فأسدوا للفكر العربي الإسلامي أولاً خيراً كثيراً ، وأسدوا للفكر العالمي ثانياً خيراً كثيراً أيضاً .

كما أنصف هؤلاء للعلماء الأعـلام مؤلفي التراث العـربي الإسلامي الذي حققوه وأخرجوه للناس ، فعادت أسماؤ هم إلى الذِّكر ثانيَة تحيط بها هالة من النور والتقدير والعرفان ، وعاد علمهم إلى الحياة من جديد يُنتفع به ويهدي للتي هي أقوم ، وكان قبل تحقيقـه مغموراً أو معـروفاً في نـطاق

محدود ، وكان مصنِّفوه مغمورين أو معروفين في مجال ضيِّق عند الخاصة من العلماء وفي فهارس التراث .

ولا يزال التراث العربي الإسلامي بحاجة ماسة إلى كثير من المحققين وإلى كثير من التحقيق ، لأن نسبة ما حقق منه بالمقارنة بكميته المعروفة الموجودة لا يزال ضئيلاً جداً ، وما بقي من التراث العربي الإسلامي الذي ينتظر التحقيق أضعاف ما جرى تحقيقه حتى اليوم .

ومن المعروف أن التحقيق أصعب كثيراً من التأليف ، وصدق الجاحظ في قوله : « ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام » .

وبدون شك ، ان العرب مقصرون بالنسبة لتحقيق تراثهم العظيم عامة ، ولكنهم مقصرون أعظم التقصير بالنسبة لتراثهم العسكري العربي ، الذي لم يُحقق منه غير جزء يسير للغاية ، ولا يزال معظمه في رفوف المكتبات والمتاحف بحاجة ماسَّة إلى التحقيق .

وبين يدي الجزء اليسير المحقق من هذا التراث ، وعدده لا يتجاوز عدد أصابع اليدين إلا قليلاً ، ودراسته تظهر أهمية هذا التراث الأصيل ، وفائدة تحقيقه للحضارة الإسلامية والعربية والعالمية ، فينبغي الإقبال على تحقيقه إقبالاً يرفع عنه ما لاقاه من غبن مرير .

وأرى أن الجهات العسكرية المسؤولة في الدول العربية قادرة على إخراج التراث العربي الإسلامي إلى النور بالتحقيق والنشر بالتعاون مع العلماء الأعلام في الأقطار العربية من جهة ، وبالتعون مع الضباط المثقفين في جيوشها من جهة أخرى .

ففي معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية عدد غير يسير من

المخطوطات العسكرية العربية الإسلامية ، تستطيع الجهات العسكرية العربية أخذ صورها وحفظ تلك الصور في مكتبة الجيش العامة ، واختيار العلماء الأعلام لتحقيق جزء منها ، فإذا أُنجز التحقيق تكفلت تلك الجهات بطبع التحقيق ونشره وإخراجه كاملاً للناس بشكل يسر القراء والدارسين .

أما الجزء الباقي منه ، فيمكن أن يحقِّقه طلاب كليات الأركان والقيادة ، كجزء من دراستهم العلمية العسكرية ، باعتبارها رسائل الطلاب التي تقدم إلى الكليات في نهاية سِني الدراسة ، فينال الطلاب عليها التقدير العلمي المتميز ما أحسنوا والتقدير العلمي غير المتميز ما قصروا ، وحينذاك تحال المخطوطات التي لم تستوف حقها من التحقيق إلى طلاب جُدد آخرين ، ثم يتم تحقيقها بشكل يرضي العلم والعلماء ، وحينذاك تنشر المخطوطات لتكون جاهزة للدراسة من القراء والدارسين .

كما تستطيع الجهات العسكرية العربية تكليف الضباط المتقاعدين المعروفين بالثقافة والعلم والقدرة على التحقيق ، لينهضوا بواجب تحقيق جزء من المخطوطات العسكرية العربية الإسلامية ، ولن يتأخر عن هذا الواجب العلمي النافع أحد من هؤلاء الضباط .

المهم أن تتحرك الجهات العسكرية العربية المسؤولة ، لتؤدي خدمة للتراث العربي الإسلامي العريق ، فإن هذه الخدمة تشرِّف تلك الجهات ، وتسد ثغرة واسعة في المكتبة العربية الإسلامية لا ينبغي أن تبقى ، وترفع التقصير عن تحقيق التراث العربي الإسلامي العريق الذي تقع مسؤوليته على العسكريين أولاً ، وتزيل الغبن الفاحش الذي تعانيه المخطوطات العربية الإسلامية الذي يجب أن يزول .

المهم أن تتحرك الجهات العربية الإسلامية والجهات العسكرية الإسلامية الأخرى ، ففي الحركة بركة ، والسكون علامة من علامات

الموت ، وقد طال السكون في زمان تخطى السكون إلى الحركة ، فمتى نتحـــرك ؟!

إن الجهــات العربية الإسلامية ، لا تستطيع النجاح في تحقيق التراث العربي الإسلامي فحسب ، بل تستطيع أن تتفوق في هذا النجاح على سائر الجهات غير العسكرية الأخـرى ، وقد أصبـح لدى أكثـر الدول العـربية والإسلامية كليات للأركـان والقيادة ، وأصبـح لدى قسم منهـا جامعـات للدراسـات العسكريـة العليا ، وبـإمكان الضبـاط الـطلاب في الكليـات والجامعات العسكرية أن ينهضوا بمهمة تحقيق التراث العربي الإسلامي بكفاية واقتدار ، كما فعلوا في دراساتهم السابقة .

فلابد أن يكون لهؤلاء الطلاب من الضباط دور فاعل مرموق في التحقيق والنشر ، أسوة بغيرهم من الطلاب الضبـاط في الدول الأجنبيـة ، وأسوة بغيرهم من طلاب الكليات والجامعات العربية والإسلامية في الوطن العربي والدول الإسلامية بدون استثناء .

ولعل الجهــات العسكرية العربية الإسلامية تضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ ، فتفيد الطلاب الضباط ، وتفيد الكليات والجامعات العسكرية ، وتفيد الحضارة العربية والإسـلامية ، وتفيـد الحضارة العـالمية ، وتـرفع الحيف عن تـراث العرب والمسلمين العسكـري ، وتنصف مؤلفي ذلك التراث العظيم ، وتُبْقي ذكرها عالياً في الآفاق ، فما يرفع ذكر تلك الجهات كما يرفعها العلم والعلماء ، دون أن تخسر شيئاً لقاء هذه الفوائد الحيوية الكثيرة ، ويوم تزول الأعراض المادية الفانية ، يبقى ذكر العلماء ، ويبقى العلم الذي ينفع الناس ، ويبقى ذكر الذين أحيوا هذا العلم ونشروه حياً من التراث .

الفصل الثامن

اللغة العسكرية العربية
واللغات العسكرية الإسلامية

[١] العربيـــة الفصـــحى :

كانت العربية الفصحى ، نقية من شوائب الألفاظ الدخيلة حتى اختلط العرب بالعجم في الفتح ، فسكن قسم من العرب البلاد المفتوحة ، وسكن قسم من غير العرب البلاد العربية ، **فشحنت** العربية الفصحى بالألفاظ الدخيلة وشاع اللحن بين العرب ، ولم يكن قبل هذا الاختلاط شائعاً .

ولكن اللغة العربية الفصحى كانت سائدة على اللغات الأخرى لأسباب كثيرة ، أهمها : أن الفصحى لغة القرآن الكريم ، فهي لغة الإسلام ،

إضافة إلى أنها لغة العرب ، وكما أن القرآن الكريم هـو كتاب الإسـلام الأول ، فهو أيضاً كتاب العربيـة الأول ، كما أن العـربية الفصحى لغـة الفاتحين ، والمغلوب يقلد الغالب في كل شيء حتى في لغته ، لكسب عطفه والتقرب منه والتعاون معه ، ثم إن العربية الفصحى لغة حية اشتقاقية غنية بالمفردات ، تستعين بها اللغات الأخرى في تغطية حاجتها من مفردات العلوم والآداب والفنون .

وظلت سيادة العربية الفصحى في مدٍ عارم حتى سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية (٧٤٩م) ؛ حيث مضى عهد الدولة الأموية وبدأ عهد الدولة العباسية ، فأخذت المفردات الدخيلة تتكاثر في العربية الفصحى ، وتوالى العدّ التنازلي في المد العارم باتجاه الجَزْر ، فانتهى المدّ سنة ست وخمسين وستمائة الهجرية (١٢٥٨م) بانهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد في أيدي التتـــار ، وبدأ الجزر بتغلب العنصر غير العربي على البلاد العربية ، فطعموا اللغة العسكرية العربية باللغات الأجنبية : الفارسية والتركية وغيرهما من اللغات الأعجمية الأخرى .

وإذا كانت الفصحى ظلت سيدة في المجالات العلمية والأدبية والفنية ، لأنها أصبحت لغة الحضارة ولغة الدين معاً ، حتى بعد سقوط بغداد في أيدي التتار ، لا تستطيع لغـة من اللغات الأخـرى منافستهـا في سيادتهـا المطلقة في تلك المجالات ، إلا أن اللغة العسكرية العربية تأثرت كثيراً باللغات الأجنبية ، فأصبحت المصطلحات العسكرية الأجنبية تتغلغل في المصطلحات العسكرية العـربية بـالتدريـج ، كما يتضـح ذلك جليـاً في

المصادر العربية المعتمدة كـ « النجوم الزاهـرة ، ونهايـة الأرب ، وصبح الأعشىٰ » حيث نقـراً كثيراً من المصـطلحات العسكـريـة الأجنبيـة تغـزو المصطلحات العسكرية العربية وتستولي على مكانها ومكانتها ، لأنها لغة الحكام الجدد من غير العرب الذين كانوا من العسكريين غالباً ، استولوا على الحكم بالقوة العسكرية لا بـالفكر الحضـاري ، فكان لابـد لهم أن يفرضوا لغتهم الأجنبية في مصطلحاتها على اللغة العربية الفصحى .

وفي القرن العاشر الهجري (السـادس عشر الميـلادي) ، أصبحت الدولة العثمانية مسيطرة على البلاد العربية ، وأصبحت البلاد العربية جزءاً من الدولة العثمانية .

وفي سنـة ثلاث وعشـرين وتسعمائـة الهجـريـة (١٥١٧م) ، استـولى العثمانيون على مصر ، فرأى السلطان العثماني سليم الفاتـح أن يستولي على الخلافة الإسلامية ، فأصبح خليفة المسلمين بعد خلع محمد المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين في مصر .

وكان من نتائج الحكم العثماني للبلاد العربية ، أن اللغة التركية أصبحت لغـة التعليم الرسمي ، فسـادت المصطلحـات العسكريـة التـركيـة على المصطلحات العسكـرية العـربية ، وأصبـح العسكريـون العرب يتلقـون تدريبهم العسكري بـاللغة التـركية ، ويتعلمـون في المدارس العسكـرية التركية ، ويعملون في الجيش التركي .

وحين تولى الخديوي محمد علي مصـــر سنـة عشرين ومـائتين وألف

الهجرية (١٨٠٥م) ، بذل جهده ليبني الجيش المصري على أسس عصرية ، فأسس مدرسة إعدادية عسكرية ، وأنشأ مدرسة للطب تخرج الأطباء العسكريين سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف الهجرية (١٨٢٥م) ، وأوفد البعثات العسكرية إلى إيطاليا وفرنسا وبريطانيا ، وبذلك استطاع تطوير الجيش المصري من الناحيتين التدريبية والتنظيمية ، ولكنه لم يستطع تطويره من الناحية اللغوية ، إذ كانت اللغة التركية هي لغة التدريب والتعليم في مدارس الجيش وقطاعاته العسكرية .

وفي سنة ست وأربعين ومائتين وألف الهجرية (١٨٣٠م) ، احتل الفرنسيون الجزائر ، كما احتلوا تُونس سنة تسع وتسعين ومائتين وألف الهجرية (١٨٨١م) ، والمغرب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩١٢م) ، واحتل الإنكليز مصر سنة ثلاثمائة وألف الهجرية (١٨٨٢م) ، واحتل الإيطاليون ليبيا سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩١١م) ، فاضمحلت الجيوش العربية المحلية ، وبقي في مصر جيش صوري ، وفي المغرب جيش رمزي ، للمراسيم والاحتفالات وللحراسات الداخلية .

هذا الاستعمار الأجنبي ، أشاع المصطلحات العسكرية الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب ، وأشاع المصطلحات العسكرية الإيطالية في ليبيا ، وأشاع المصطلحات العسكرية الإنكليزية في مصر .

ولكن عمق جذور المصطلحات العسكرية التركية في البلاد العربية كافة ، جعلها تثبت أمام الغزو الفكري الجديد وتبقى سائدة على المصطلحات العسكرية العربية القديمة ، والمصطلحات العسكرية الأجنبية الجديدة ، لأن الدولة العثمانية كانت مسيطرة على تلك البلاد سيطرة زمنية وسيطرة دينية منذ أكثر من أربعة قرون خلت .

وبعد الحرب العالمية الأولى ، أصبحت أكثر الدول العربية خاضعة للاستعمار الغربي ، فبدأ مد المصطلحات العسكرية الغربية يطغى على العسكريين في هذه الأقطار ، وأصبحت اللغة العسكرية العربية مطعمة بالمصطلحات العسكرية التركية وبالمصطلحات العسكرية الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب وسورية ولبنان ، وبالمصطلحات العسكرية التركية وبالمصطلحات العسكرية البريطانية في مصر والعراق والسودان والأردن وفلسطين وإمارات الخليج العربي واليمن الجنوبي ، وبالمصطلحات العسكرية التركية وبالمصطلحات العسكرية الإيطالية في ليبيا .

وهكذا تلوثت المصطلحات العربية بالمصطلحات العسكرية الأجنبية بتأثير الدول غير العربية التي غزت البلاد العربية في القرون القريبة والبعيدة ، ولم تبق اللغة العسكرية العربية نقية لا يكدر صفوها ألفاظ دخيلة ، بل اختلطت الألفاظ العسكرية العربية الأصيلة بالألفاظ الأجنبية الدخيلة ، فوجب التخلص من الدخيل والاحتفاظ بالأصيل .

---

[٢] تناقض المصطلحات العسكرية العربية :

أصبح للدول العربية كافة جيوش عربية وقوات مسلحة ، بعد أن كان لمصر والمغرب وحدهما جيش خاص بكل دولة منهما دون سائر الدول العربية الأخرى .

وبدأ قسم من الدول العربية يترجم المصطلحات العسكرية الأجنبية إلى مصطلحات عسكرية عربية قبل أن يرحل الاستعمار عن بلادها وتنال

استقلالها ، وبقي قسم آخر من الدول العربية ينتظر رحيل الاستعمار ليضع مصطلحاته العسكرية العربية ، وبصورة عامة تصاعدت محـاولات العودة إلى العربية الفصحى في القوات المسلحة العربية بعد رحيل الاستعمار عنها ـ عدا سوريـــة والعراق ـ فقد كان نشاطهما قبل رحيل الاستعمار عنهما في تـطهير المصـطلحات العسكـرية من الكلمـات الأجنبية الـدخيلة وإقـرار المصطلحات العسكرية العربية ، أما بقية الدول العربية الأخرى ، فقد ظهر نشاطها اللغوي الخاص بالمصطلحـات العسكريـة بعد رحيـل الاستعمار لا قبله .

إن بقاء طائفـة من المصطلحـات العسكريـة التركيـة أو الإنكليزيـة أو الفـرنسية أو الإيـطالية أو الأمـريكيـة ، أثـر من آثـار الاستعمـار الفكـري البغيض ، لأن القوات المسلحة التي لا تزال تستعمل تلك المصطلحات الأجنبية في قواتها المسلحة العربية ، تتـذكر دائمـاً استعمار تلك الـدول لبلادها ، ولا تنسى أنها كانت خاضعة للدول الأجنبية في يوم من الأيام ، كما أنها باستعمالها تلك المصطلحات العسكرية الأجنبية تقر بتفوق جيوش الـدول الأجنبية عليهـا حتى في لغاتهـا ، وكل ذلـك يؤثر أسـوأ الأثر في معنويات الجيوش العربية ، ولا نصر لجيش مزعزع المعنويات ولا يتحلى بالمعنويات العالية .

ولكن وضع المصطلحات العسكرية العربية بمحاولات كل جيش عربي أن يضع المصطلحـات العسكريـة العربيـة الخاصـة به ، دون أن ينسق مصطلحاته بمصطلحات الجيوش العربية الشقيقة ، أدى إلى ظهور مشكلة لغوية حقيقية ، هي أن اللغة العربية الفصحى الواحدة ، أصبحت متناقضة بالنسبة للمصطلحات العسكرية العربية ، وأصبح كل جيش عربي لدولة

عربية لا يستطيع التفاهم مع جيش عربي شقيق لدولة عربية أخرى ، أو يصعب عليه التفاهم على أقل تقدير ، لأن لغته العسكرية تختلف اختلافاً كبيراً عن اللغات العسكرية للجيوش العربية الأخرى .

وأذكر أن وفداً عسكرياً من إحدى دول المشرق العربي قدم العراق سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٥٤م) في زيارة رسمية لمقرات ومؤسسات وتشكيلات عسكرية للجيش العراقي ، وكان في منهاج ذلك الوفد العسكري الشقيق زيارة وحدات عسكرية في مدينة (الموصل) ، وكنت حينذاك آمراً لإحدى الوحدات العسكرية هناك ، فلم أستطع ولم يستطع قادة الوحدات الأخرى التفاهم مع ذلك الوفد إلا بلغة أجنبية .

وقد زرت وحدات وتشكيلات ومقرات ومؤسسات عسكرية في قسم من الدول العربية الشقيقة ، فلم أستطع فهم معاني كثير من مصطلحاتها العسكرية إلا بصعوبة .

ولكي ندرك مدى التناقض الكبير بين ألفاظ المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، أضرب مثلاً بالمصطلحات العسكرية لسلاح صغير من الأسلحة الخفيفة هو : (الغدارة) ، كما نطلق عليه في العراق و (الرشاش الصغير) ، كما يطلقون عليه في مصر ، لكي نقارن بين قسم من أسماء أجزائها في الجيش العراقي بأسماء تلك الأجزاء بأعيانها في جيش مصر ، وفي الستينيات من القرن العشرين الميلادي ، لتصوير فكرة واضحة عن البون الشاسع في المصطلحات العسكرية بين الجيشين العربيين الشقيقين ، مع أن هذه المصطلحات في هذين الجيشين هي أقل اختلافاً عند مقارنتها بالمصطلحات العسكرية في الجيوش العربية الأخرى :

في الجيش العراقي	في الجيش المصري
١ ـ السَّـبَطانة[١١]	١ ـ الماسـورة
٢ ـ الزِّنـاد	٢ ـ التتـك
٣ ـ الشُـعَيْرة	٣ ـ الدبّـانة
٤ ـ النابض	٤ ـ الزنبرك
٥ ـ التصـويب	٥ ـ النيشـان
٦ ـ الإمـلاء	٦ ـ التعمـير
٧ ـ الأخْمَص	٧ ـ الدبشـك
٨ ـ الذخيرة الخُلبيّـة	٨ ـ فشـنك

هذا التناقض في ألفاظ المصطلحات العسكرية ، يشمل أنواع الأسلحة الخفيفة الأخرى ، وأنواع المدافع ، ويشمل مصطلحات الرمي الخاصة بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة وأنواع ذخيرتها ، كما يشمل مصطلحات صنوف الجيش : كالمشاة والخيالة والدروع والمدفعية والهندسة والإشارة والقوة الجوية والقوة النهرية والقوة البحرية ، ويشمل كذلك مصطلحات الخدمات الإدارية كالميرة والتموين والعينة والنقلية الآلية

---

(١١) السبطانة : قناة جوفاء يرمىٰ بها الطير بالبندق ، انظر لسان العرب (٧/ ٣١١) والمعجم الوسيط (١/ ٤١٥) ، وفي المصطلحات العسكرية الحديثة تستعمل كلمة السَّبطانة للقناة الجوفاء التي تُرمىٰ بها اهداف عسكرية ، يقال : سبطانة البندقية ، وسبطانة المسدس ، وسبطانة الهاون ، وسبطانة المدفع .

ونقلية الدواب ، والهندسة الآلية الكهربائية ، ويشمل أيضاً أجزاء السيارات والمدرعات والدبابات والطائـرات والسفن والبواخـر والبوارج وحـاملات الـطائرات وأدواتهـا الاحتياطيـة ، كما يشمـل أسماء الـرتب والمنـاصب والوحدات والتشكيـلات والمقرات العسكـرية ، ومصـطلحات التـدريب والتعـبيــة (Tactics) ، والـسَّــوْق (Styategy) ، ووواجبــات الأركــان وصفحات القتال .

وكل هذه المصـطلحات تتنـاقض أشد التنـاقض في الجيوش العـربية الشقيقة . .

[٣] محاولات توحيد المصطلحات العسكرية العربية :

(أ) قطعت الجيوش العربية شوطاً بعيـداً نحو تـرجمة المصـطلحات العسكرية الأجنبية إلى اللغة العربية الفصحى أو اللغة غير الفصحى أحياناً ، فبذل كل جيش عربي جهوداً مشكورة لترجمة مصطلحاته العسكرية داخل نطاق جيشه ، معتمداً على مصطلحات قسم من الجيوش العـربية وعلى معلومات رجاله اللغوية والعسكرية .

لقد كانت المصطلحات العسكرية مختلفة أشد الاختلاف في نطاق كل جيش عربي ، وكان هذا الاختلاف أمـراً طبيعياً ، لأن الجيـوش العربيـة الحديثة ولد أكثرها بعد نيل استقلالها ، فكانت النـواة الأولى لكل جيش عربي حديث عبارة عن ضباط ومراتب دُرِّبوا تدريباً أجنبيـاً بلغة أجنبيـة : **تركية ، او انكليـزية ، او فـرنسية ، او إسبـانية ، او إيطـالية ، او امريكية او روسية .**

ولعل أهم ثمرة من ثمرات ترجمة المصطلحات العسكرية الأجنبية داخل كل جيش عربي في نطاق قطري ، هو تأليف عدة معجمات عسكرية عربية ، أهمها خمسة هي :

المعجم العسكري العراقي (إنكليزي - عربي) .

والمعجم العسكري السوري (فرنسي - عربي) و (إنكليزي - عربي) .

والمعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي) .

والقاموس العسكري المصري (إنكليزي - ألماني - فرنسي - عربي) .

والمعجم العسكري الفني المصري (إنكليزي - عربي) .

وهناك معجمات عسكرية عربية مخطوطة ، لم تر النور حتى اليوم ، فلا مجال لذكرها .

والمعجم العسكري العراقي (إنكليزي - عربي) ، يؤخذ عليه أن مصطلحاته العسكرية قديمة قد تصلح لجيش في الأربعينيات من هذا القرن ، ولكنه لا يصلح لجيش حديث متطور . لأن المصطلحات العسكرية الحديثة تنقصه ، مثل مصطلحات : الذّرة والأجهزة الألكترونية ، ومصطلحات الحرب الكيماوية ، ومصطلحات الحرب الجرثومية .

اما المعجم العسكري السوري ، فهو لسورية ومصر في الأصل ، وسنتكلم عنه بعد قليل في الحديث عن المعجمات الموحدة .

اما المعجم العسكري اللبناني (فرنسي - عربي) ، فيؤخذ عليه اقتصاره على المصطلحات العسكرية البحتة ، وعدم شموله مصطلحات العلوم التي لها علاقة بالمصطلحات العسكرية .

كما يؤخذ عليه ، أن مصطلحاته قديمة لا تشمل المصطلحات الفنية العسكرية الحديثة كمصطلحات الأسلحة النووية والتعابير العسكرية العلمية الحديثة .

ثم يؤخذ عليه أيضاً ، أن لغته مدنية عليها طابع اللغة الأدبية التي تهتم بالكلمات الغريبة الحوشية ، على حين أن اللغة العسكرية لغة علمية ، تحرص على الوضوح والبساطة في التعبير .

وفي النهاية يؤخذ على هذا المعجم العسكري اللبناني ، أنه يضم ألفاظاً عامية مثل : أنبار ، وألفاظاً أخرى منحوتة مثل : المجوقل ، للنقل جواً .

اما القاموس العسكري المصري ، فمما يؤخذ عليه أنه مرتب حسب الحروف الأبجدية الإنكليزية ، لذلك فمن الصعوبة أن يستفيد منه المترجم من الفرنسية إلى العربية أو من الألمانية إلى العربية .

ومما يؤخذ على هذا المعجم خلوه من المصطلحات العسكرية الحديثة ، كما يؤخذ عليه وجود كثير من الكلمات التركية دون مسوِّغ .

ومما يؤخذ عليه لجوء واضعيه إلى التعريب لضرورة ولغير ضرورة ، وكثرة الأخطاء الإملائية واللغوية فيه .

اما المعجم العسكري الفني المصري ، فمما يؤخذ عليه إغراقه في الكلمات الغريبة الصعبة التي لا يستسيغها العسكريون بسهولة ويسر ، مما يدل على سيطرة المدنيين على العسكريين في إعداد المعجم .

كما يؤخذ عليه إغراقه في التعريب دون مسوغ .

(ب) ولعل أهم محاولات توحيد المصطلحات العسكرية في نطاق جيشين عربيين فحسب ، هما : محاولة توحيد المصطلحات العسكرية الجيشين السوري والمصري أولاً ، ومحاولة توحيدها بين الجيشين

المصري والعراقي ثانياً ، وقد ذكرت هاتين المحاولتين بموجب تسلسلهما الزمني ، إذ جرت المحاولة الأولى قبل المحاولة الثانية .

فقد أعدت المعجم العسكري السوري (انكليزي ـ عربي) و (فرنسي ـ عربي) لجنة مختلطة من سورية ومصر لإعداد معجم عسكري لجيش الجمهورية العربية المتحدة ، فبدأت عملها سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٥٩م) ، وأنجزته سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦١م) ، وصدر المعجم بعد الحركة الانفصالية بين سورية ومصر ، مما أدى إلى عدم التزام الجيش المصري بهذا المعجم ، والتزم به الجيش السوري وحده ، ولهذا أطلق عليه : **المعجم العسكري السوري** .

ومما يؤخذ على هذا المعجم ، أنه يضم طائفة من الكلمات العامية ، مثل : كميون ، وهي كلمة فرنسية أطلقت على سيارة الشحن .

كما أن من مصطلحاته ما لا يعبر عن المعنى المقصود في الأصل الأجنبي تعبيراً دقيقاً ، فمثلاً مصطلح (Military Report) ، ترجم في المعجم العسكري السوري بـ : (نشرة حربية) ، في حين أن معناه : (تقرير عسكري) ، والفرق كبير بين (النشرة) وبين (التقرير) من الناحية العسكرية .

كما يؤخذ عليه كثرة المترادفات للكلمة الواحدة التي يجب أن يكون لها معنى واحد ، فكان الواجب يقضي بوضع مصطلح عسكري عربي واحد ، للمصطلح الأجنبي العسكري الواحد ، يفي بالمقصود تماماً ، ويحول دون الارتباك والالتباس .

ومما يؤخذ عليه كذلك ، ميله إلى الكلمات الحوشية الجاسية في بعض

المصطلحات العسكرية ، وكان من الأفضل استعمال الكلمات البسيطة السهلة الخالية من التعقيد ، لأن اللغة العسكرية لغة علمية .

اما المعجم العسكري العراقي الموحد ، فقد أعدته لجنتان عسكريتان : لجنة عسكرية عراقية ، ولجنة عسكرية مصرية ، تنقلتا بين القاهرة وبغداد خلال سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٥م) ، وصدر هذا المعجم بعد طبعه في مطابع الجيش العراقي في تلك السنة .

والذي يؤخذ على هذا المعجم ، أن إعداده اقتصر على الضباط فقط ، وكان من الضروري أن يشارك في إعداده أعضاء المجامع اللغوية والعلمية ، لإمكان تفادي الأخطاء اللغوية أولاً ، ولإعطاء المعجم قوة لغوية تجعل له قيمة لا غبار عليها في البلاد العربية كافة من الناحية اللغوية .

كما يؤخذ عليه أيضاً ، أن القيادة العربية الموحدة لم تشارك في إعداده ، وكانت يومئذ على قيد الحياة ، فكان من الواجب أن يكون بين أعضاء لجنتي إعداده عضو من القيادة العربية الموحدة ، حتى يأخذ هذا المعجم معنى الشمول ، وتعترف به الدول العربية كافة ، وتعمل على تطبيقه في جيوشها .

ويؤخذ على تنظيم المعجم العسكري العراقي الموحد كذلك ، أنه كان يجب أن يبوّب على حسب ترتيب حروف الهجاء الانكليزية أسوة بالمعجمات العسكرية الأخرى وغير العسكرية أيضاً ، ثم تنظم مفردات المصطلحات العسكرية في نهاية المعجم على حسب أسلحة الجيش وأقسامه الإدارية . وهذا الأسلوب يجعل أمر استخراج المصطلح العسكري

المطلوب سهلاً هيناً سريعاً ويحول دون تكرار المصطلحات العسكرية دون مسوِّغ لهذا التكرار .

على أنه يؤخذ عليه بالإضافة إلى ذلك ، أن الذين نظموه كتبوا عناوين المصطلحات الإنكليزية باللغة الإنكليزية فوق عناوين المصطلحات العربية مباشرة ، وليس من المناسب أن يعلو التعبير الأجنبي على التعبير العربي في معجم صدر في بلد عربي يرمي إلى توحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية .

وأخيراً يؤخذ عليه خلوه من المصطلحات العسكرية الحديثة .

وقد كان بالإمكان تلافي هذه المآخذ كلها على المعجم العسكري الموحد ، لتشمل فائدته المرجوة جيوش العرب كلها ، فيكون بحق معجماً موحِّداً لا معجماً موحَّداً .

وللتاريخ نذكر أن مصر لم تلتزم بهذا المعجم على الرغم من مشاركتها في إعداده !

وعلى كل حال ، فهذا المعجم خطوة موفقة إلى حدٍ ما على طريق توحيد المصطلحات العسكرية العربية .

ومن محاولات توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية : نشرة المصطلحات العسكرية الموحدة التي أصدرتها القيادة العربية الموحدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٥م) ، والتي تحتوي على (٢٨٥) مصطلحاً عسكرياً في أربع وعشرين صفحة من القطع الكبير ، مكتوبة بالآلة الناسخة ، وقد وزعت على جيوش الدول العربية .

ولكن مصطلحات هذه النشرة ، تختلف عن مصطلحات المعجم العسكري العراقي الموحد الذي أعدته لجنتان عسكريتان : لجنة من

مصر ، ولجنة من العراق ، مما يدل على أن القيادة العربية الموحدة لم تكن على علمٍ بإعداد هذا المعجم .

وقد أعدت هذه النشرة لجنة من ضباط القيادة العربية الموحدة ، وهي تشمل على المصطلحات العسكرية الرئيسة التي يكثر التخاطب بها في الجيوش العربية ، خاصة في إصدار الأوامر العسكرية .

وقد كان من الممكن أن تصدر القيادة العربية الموحَّدة معجماً موحَّداً لا نشرة موحَّدة ، ولكن ظروفها وقلة الضباط القادرين على إصدار هذا المعجم بين منتسبيها وضيق الوقت حال بينها وبين إصدارها المعجم العسكري الموحَّد .

ومما يؤخذ على هذه النشرة ، اقتصارها على عدد محدود من المصطلحات العسكرية ، لا تكاد تغني ولا تسمن من جوع .

كما يؤخذ عليها أن إعدادها اقتصر على عدد قليل من ضباط القيادة العربية الموحدة ، وعدم الاستعانة بأعضاء مجمع اللغة العربية في إعدادها .

كذلك يؤخذ عليها ، أن مصطلحاتها لا تتفق مع المصطلحات العسكرية الشائعة في أكثر الجيوش العربية ، مما أدى إلى عدم استعمالها في تلك الجيوش .

[٤] إخفاق المحاولات والمعجمات :

(أ) بذلت جهود كثيرة لتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، ولكن تلك المحاولات باءت كلها بالإخفاق الذريع .

فقد عقدت اجتماعات عديدة بين لجان عسكرية من الجيشين الشقيقين المصري والعراقي في أكثر من محاولة لتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيشين الشقيقين ، وكان آخر اجتماع لممثلي هذين الجيشين سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٥م) ، أثمر عن المعجم العسكري الموحـــد ، ولكن جيوش الدول العربية وجيش مصر لم تلتزم به .

وعقدت اجتماعات بين لجان عسكرية في جيشي الإقليمين السـوري والمصري من سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٥٩م) إلى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦١م) إبان الوحدة بين مصـر وســورية ، فكان من ثمراتها صدور المعجم العسكري السوري ، ولكن جيوش الدول العربية ومنها جيش مصر لم تلتزم به أيضاً .

وحاولت اللجنة العسكرية الدائمة في جامعة الدول العربية سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٥٣م) توحيدها ، ولكنها عجزت عن ذلك .

وحاولت تلك اللجنة العسكرية الدائمـــة بطلب من أمين جامعة الدول العربية أكثر من مرة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وإصدار معجم عسكري موحد ، ولكنها لم تنجح في محاولاتها .

وحاولت القيادة العربية الموحّـــدة توحيد الحد الأدنى من المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، فأصدرت نشرتها سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٥م) ، ولكن جيوش الدول العربية لم تلتزم حتى بهذه النشرة التي توحّـــد الحد الأدنى من المصطلحات العسكرية لهذه الجيوش العربية !

وهكذا أخفقت كل تلك المحاولات التي بذلت لتوحيد المصطلحات العسكرية العـربية ، والتي بـدأت من سنة ثمـانٍ وستين وثلاثمـائة وألف

الهجرية (١٩٤٨م) في ظل جامعة الدول العربية ، وانتهت في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٥م) في ظل القيادة العربية الموحدة .

(ب) كما أخفقت معظم المعجمات العسكرية العربية التي أصدرتها الجيوش العربية في أداء رسالتها بإقرار المصطلحات العسكرية العربية التي لا تشوبها شائبة العجمة داخل جيوشها وتوحيد المصطلحات العسكرية في جيوش الوطن العربي .

وكان تعدد المعجمات العسكرية ومحاولة كل جيش عربي لا يملك معجماً عسكرياً أن يكون له معجم عسكري خاص به ، عاملاً من عوامل تناقض المصطلحات في الجيوش العربية .

فقد كان المفروض أن يقتبس واضعو المعجمات العسكرية الجديدة المصطلحات العسكرية العربية القديمة التي أقرتها الجيوش العربية من قبلُ ، ما كانت عربية سليمة لا غبار عليها ، ولكن هؤلاء في أغلب الأحيان وقفوا موقف الناقد لتلك المصطلحات العسكرية القديمة بالحق أو بالباطل ، واجتهدوا أن يضعوا بأنفسهم مصطلحات عسكرية جديدة ، حتى ولو كانت المصطلحات العسكرية القديمة باعتراف هؤلاء المجتهدين الجدد ، متينة في مبناها رصينة في معناها .

وأسباب إخفاق المعجمات العسكرية العربية في إداء رسالتها كثيرة .

من هذه الأسباب : اقتصار وضع المصطلحات العسكرية العربية على العسكريين من الضباط وحدهم في قسم من الجيوش العربية ، مما أدى إلى أن تكون تلك المصطلحات العسكرية العربية ضعيفة من الناحية اللغوية .

ومنهـــا : تأليف لجان في قسم من الجيوش العربية يغلب عليها طابع

علماء اللغة ، مما أدى إلى أن تكون المصـطلحات ضعيفـة من الناحيـة العسكرية ، فيها كثير من المفردات الأدبية والألفاظ العربيـة الصعبة التي عفى عليها الدهر وأصبحت قليلة الاستعمال .

ثم ايضـاً من هذه الأسبـاب : اقتصـار اللجـان على ممثلي جيشين عربيين ، مما أدى إلى عدم التزام الدول العربية الأخرى التي لم تشارك في إعداد المعجم العسكري به .

ويضـــاف إليها : إغفال تمثيل القيادة العربية الموحدة في لجان توحيد المصطلحات العسكرية بين جيشين عـربيين ، مما أدى إلى إعـطاء تلك المصطلحات العسكرية العربية صفة محلية ضيقـة وحرمـانها من الصفـة العربية الشاملة .

ثم كـذلك : إغفـال إشراف جـامعة الـدول العربيـة على لجان تـوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، مما أدى إلى حرمانها من الصفة العربية الشاملة عليها أيضاً .

ومنهـــا ايضـاً : إغفال تمثيـل المجامـع اللغويـة في لجـان تـوحيـد المصطلحات العسكرية العربية ، مما حرمها من القوة اللغوية التي يمكن أن تضفيها المجامع اللغوية على المعجمات العسكرية العربية .

كما أن ترك وضع المصطلحات العربيـة لكل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ ، يـزيد المصطلحات العربية تناقضاً واختلافاً .

لذلك كان لابـــد من اتخاذ تدابير جـديدة أخـرى ، تضع الأمـور في نصابها .

[٥] توحيد المصطلحات العسكرية العربية :

(ا) خلاصة الدروس :

كانت الدروس المكتسبة من أسباب إخفاق محاولات توحيد المصطلحات العسكرية العربية للجيوش العربية كافة ، وإخفاق المعجمات العسكرية المطبوعة في تطهير المصطلحات العسكرية العربية من المصطلحات العسكرية الأجنبية الدخيلة ، وفي أن تخرج من نطاقها القطري إلى نطاق الوطن العربي ، تخالج كثيراً من عقول الضباط خاصة ، وغير الضباط عامة من المعنيين بتطهير المصطلحات العسكرية العربية من المصطلحات العسكرية الأجنبية الدخيلة ، وبتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، وبإصدار معجمات عسكرية موحّدة تجمع مصطلحات الجيوش العربية كافة على كلمة سواء .

وفي مؤتمر مجمع اللغة العربية المصري والمجمع العلمي العراقي الذي عقد في بغداد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (من ٢٠ تشرين الأول « نوفمبر » ١٩٦٠م إلى ٣٠ من الشهر المذكور) ، أُلقي بحث عنوانه : **(اهمية توحيد المصطلحات العسكرية العربية)**[١٢] .

وكان من جملة مقررات هذا المؤتمر : « تشكيل لجنة من المختصين تحت إشراف جامعة الدول العربية والقيادة العربية الموحّدة ، لتوحيد المصطلحات العسكرية ، على أن يعاونها بعض اللغويين » .

---

(١٢) نشر مقدمة لكتاب : المصطلحات العسكرية في القرآن العظيم (١ / ٧ ـ ٢٣) ـ بيروت ـ ١٣٨٦هـ .

وبعد عودة أعضاء مجمع اللغة العربية الذين شهدوا مؤتمر بغداد إلى القاهرة ، كتب الأمين العام لمجمع اللغة العربية رسالة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية ، يبلّغه فيها بقرار مؤتمر مجمع اللغة العربية المصري والمجمع العلمي العراقي الخاص بتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية (برقم ٦٠ والمؤرخ في ١٩٦٦/١/١١م) .

وبعد مخابرات واتصالات عديدة بين جامعة الدول العربية والدول العربية ووزارة الدفاع المصرية ، انتهت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (٢٤ كانون الثاني ١٩٦٧م) ، باعتذار وزارة الدفاع المصرية عن الموافقة على توحيد المصطلحات العسكرية العربية للجيوش العربية في الوقت الراهن لعدم ملاءمة الظروف (كذا) ، فتقرر إرجاء توحيد المصطلحات العسكرية إلى إشعار آخر !

وفي أوائل سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (بداية سنة ١٩٦٨م) ، زرت جامعة الدول العربية في القاهرة ، واطلعت على سير معاملة توحيد المصطلحات العسكرية ، فذُهلت لأن المعاملة رُكنت على الرف إلى موعد غير معلوم .

وجرت محاولات جديدة لإخراج فكرة توحيد المصطلحات العسكرية إلى حيِّز التنفيذ ، فنجحت تلك المحاولات ، وتقرَّر أن تجتمع لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في جامعة الدول العربية في آخر النصف الأول من سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (٣٠ آذار « مايو » ١٩٦٨م) .

(ب) لجنـــة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية :

وبالاستفادة من الدروس المكتسبة من إخفاق التوحيد والمعجمات

العسكرية العربية ، وبالمذاكرة مع السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، والقائد العام للقيادة العربية الموحّدة ، ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ، اقترحنا على الأمين العام للجامعة العربية تأليف لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية من ممثلين لكل من :

- عضو واحد من مجمع اللغة العربية في القاهرة .
- ضابط من كل جيش عربي من دول جامعة الدول العربية .
- ضابط من القيادة العربية الموحدة .

وقدم ممثل مجمع اللغة العربية المصري في اللجنة تقريراً إلى السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ، شرح فيه الطريقة المثلى لتشكيل اللجنة وأسلوب عملها .

ووافق السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية على ماجاء في تقرير ممثل مجمع اللغة العربية المصري ، حول تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، وتحدد يوم اجتماع اللجنة في رحاب جامعة الدول العربية .

ودروس الماضي في إخفاق توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، هي التي أوحت بتشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بهذا الأسلوب وهذه الطريقة .

واجب ممثل مجمع اللغة العربية المصري ، وهو عضو من أعضاء المجمع ، في هذه اللجنة : إقرار المصطلحات العسكرية العربية القديمة ما دامت ملتزمة بالعربية الفصحى ، ونبذ المصطلحات العسكرية العربية القديمة ما دامت غير ملتزمة بالعربية الفصحى ، ووضع المصطلحات

العسكرية العربية الجديدة بلغة عربية سليمة ، وحمل اللجنة على الالتزام باللغة العربية الفصحى التزاماً صارماً .

وواجب ممثلي الجيوش العربية من الضباط في اللجنة : عرض المصطلحات العسكرية المستعملة في جيوشهم ، لإقرار المصطلح العربي الفصيح ونبذ المصطلح الأجنبي الدخيل أو العربي غير الفصيح ، والمصادقة على قرار اللجنة في توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، وجعل هذا القرار نابعاً من موافقة ممثلي الجيوش العربية كافة لا من موافقة ممثلي جيش عربي واحد أو جيشين عربيين شقيقين ، حتى تلتزم الجيوش العربية كلها بالمعجم العسكري الموحَّد الذي أقر مصطلحاته ممثلوها في اللجنة .

وواجب ممثل القيادة العربية الموحدة : إضفاء الصفة العسكرية العربية الشاملة على المعجم العسكري الموحَّد من الناحية العسكرية .

وعقدت اللجنة اجتماعاتها في كنف جامعة الدول العربية بالقاهرة وبرعايتها وإشرافها ، لكي يكون للمعجم العسكري الموحد صفة عربية شاملة من الناحية السياسية .

وهكذا حاولت هذه اللجنة في تشكيلها وفي عملها ، أن تخرج مهمة توحيد المصطلحات العسكرية العربية من النطاق القطري الضيِّق إلى النطاق العربي الشامل ، وأن تجعل لهذا التوحيد قوة لغوية وقوة عسكرية وقوة سياسية ، تحمل الجيوش العربية والدول العربية على الالتزام به في مصطلحاتها العسكرية .

وقد شهد كل ممثلي الجيوش العربية اجتماعات اللجنة ، عدا ممثل الجيش التونسي الشقيق .

(ج) المبادىء التي التزمت بها اللجنة في عملها :

التزمت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية بمبادىء واضحة المعالم ، وضعتها نصب أعين أعضائها ، وحاولت جهد الإمكان ألا تحيد عنها قيد أنملة .

وقد كاد حرصها الشديد على الالتزام بهذه المبادىء أن يعصف بها وهي في بداية الطريق بعد أيام معدودات من عقد اجتماعاتها .

من هذه المبادىء : الالتزام باللغة العربية الفصحى ، ونبذ المصطلحات العسكرية الأجنبية الدخيلة ، كالمصطلحات التركية والفرنسية والبريطانية ، وكالمصطلحات الموضوعة باللغة العامية الدارجة .

ومنها : اختيار الألفاظ العربية السهلة البسيطة ، لأن اللغة العسكرية لغة علمية ، والتخلي عن الألفاظ الحوشية الجاسية التي قد تصلح للتعابير الأدبية ، ولكنها لا تصلح للتعابير العسكرية .

ومنها أيضاً : الاقتصار على (الترجمة) إلى العربية ، والابتعاد عن (التعريب) إلا لضرورة قصوى .

ثم منها كذلك : اقتباس الألفاظ الحضارية التي وضعتها المجامع العربية ، والأخذ بها وإقرارها .

وأخيراً : تفضيل المصطلح العسكري الشائع في أكثر الجيوش العربية على المصطلح العسكري الشائع في عدد قليل من الجيوش العربية .

تلك هي مجمل المبادىء التي التزمت بها لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، والتي كادت أن تعصف باللجنة في أيامها الأولى ، لأن ممثل كل جيش عربي كان يحرص على إقرار المصطلحات العسكرية الشائعة في جيشه ، دون الالتفات إلى قوتها اللغوية أو مطابقتها لمعنى ما يقابلها من مصطلحات عسكرية في الجيوش الأجنبية الحديثة .

ولكن صـوت لغة القرآن الكريم أسكت كل صـوت ، وكلمة الحق أزهقت كلمة الباطل ، وتغلب العلم على الجهل ، وآثـر أعضاء اللجنـة المصلحة العربية على المصلحة القطرية .

وسـار عمل اللجنة في بداية أمره بطيئاً مُتلكئاً ، ثم انطلق لتحقيق أهدافه سريعاً واثقاً على هدى اللغة العربيـة الفصحى وبصيرة العلم العسكـري الأصيل .

(د) أسـلوب عمل اللجنـة :

وحين اجتمعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في رحاب جامعة الدول العربية ، وضعت أمامها المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة ، فقد استصحب كل ضابط من أعضاء هذه اللجنة معه المصطلحات العسكرية العربية المعمول بها في جيشه .

وكان أمام اللجنـة مسـلكان :

الأول : توحيد المصطلحات العسكـرية المتيسـرة على حسب ترتيبهـا الأبجدي ، وهذا المسلك يؤدي إلى اصطدام أعضاء اللجنة ببعضهم بين مدة وأخرى عند إقرار المصطلحات العسكرية العربية الحيوية الشائعة في جيوشها منذ القديم ، إذ يصعب على تلك الجيوش التخلي عنها بسهولة حتى ولو كانت لا تمت إلى العربية الفصحى بصلة قريبة أو بعيدة !

والثاني : توحيد المصطلحات العسكرية العربية الحيوية الشائعـة في الجيوش العربية أولاً ، وهي التي يبرز فيها التناقض في المعنى والمبنى ، ولكل جيش عربي مصطلحاته الخاصة به ليس من السهل عليه تبديلها .

وهذا المسلك يؤدي إلى اصطدام أعضـاء اللجنة ببعضهم في الأيـام

الأولى من عملهم ، وربما يؤدي هذا الاصطدام إلى إخفاق اللجنـة في النهوض بمهمتها الصعبة الشاقة .

وقد آثرت اللجنـة أن تبدأ بتـوحيد المصـطلحات العسكـرية الشـائعة المتناقضة في الجيوش العربية ، حتى إذا أخفقت في توحيدها ، أعلنت إخفاقها دون أن تضيِّع الوقت سدى .

وفي خلال الشهرين الأولين من مدة عمل اللجنة ، لم تستطع اللجنة أن توحِّـــد أكثر من خمسمائة مصطلح عسكري عربي ، بعد جهد جهيد ومشقة بغير حدود .

وكمثال على ذلك ، فإن كلمة (Tactics) الإنكليزية ، كان المصطلح المقابل لها في قسم من الجيوش العربية هو كلمــة : (تكتيك) ، وكان المصطلح العربي المقابل لها في القسم الآخر من الجيـوش العربيـة هو كلمة : (تَعْبِئَــة) .

وما يقال عن هذه الكلمة يقال عن كلمة : (Strategy) الإنكليزية ، فقد كان قسم من الجيوش العربية يستعمل كلمة : (استراتيجية) ، وكان قسم من الجيوش العربية يستعمل كلمة : (السَّـــوْق) .

وقد أمضت اللجنة أسبوعاً كاملاً في جدال عنيف حول هاتين الكلمتين الشـــائعتين ، حتى استقـر الـــرأي على استعمـال المعنيين العـــربيين : (تعبئــة) و (سَـــوْق) لهاتين الكلمتين المعربتين .

وفي خلال الشهرين الأولين من مدة عمل اللجنة ، أكملت اللجنة توحيد المصطلحات العربية المتناقضة من جهة والحيوية الشائعة من جهة أخرى ، وهي مصـطلحات : الإيعـازات العسكريـة ، والتعبويـة ، والسَّـوْقيـة ، والتدريب ، وأسماء الأسلحة والذخيرة ، والرتب والمناصب العسكرية ،

وأسماء الوحدات والتشكيلات والمؤسسات والمقرات والمدارس والمعاهد والكليات العسكرية .

ولما تم للجنة توحيد تلك المصطلحات المتناقضة الشائعة التي كان يصعب تبديلها ويصعب إقرارها أيضاً ، أصبح نجاح اللجنة في عملها مضموناً ، وأصبح إكمال واجبها في التوحيد قضية وقت ليس إلا ، لأن المصطلحات المتبقية ليست حيوية ولا شائعة ولا متناقضة بالدرجة التي كانت عليها المصطلحات العسكرية التي جرى توحيدها .

ولكن برزت مشكلة جديدة لم تكن في حسبان اللجنة ، هي أن المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة تفتقر إلى المصطلحات العسكرية الحديثة ، مثل مصطلحات الحرب النووية ، ومصطلحات الحرب الكيماوية ، ومصطلحات الحرب الجرثومية ، ومصطلحات الأجهزة الألكترونية ، ومصطلحات الأسلحة الحديثة المتطورة .

إن العلوم التي لها صلة مباشرة بالمصطلحات العسكرية كثيرة ، وقد استوعب المعجم الفني المصري مصطلحات نحو ستين علماً ، ومع ذلك قصر عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة كلها .

وقررت اللجنة أن يكون عملها متكاملاً ، وذلك بنقل المصطلحات الحديثة إلى العربية ، لكي لا تبقى المصطلحات العسكرية التي تضمها المعجمات العسكرية العربية بدائية ، قد تصلح لحرب مثل الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لا تصلح لحرب حديثة ضد العدو الصهيوني الذي بلغ في العلوم التطبيقية شأواً بعيداً .

واللجنة يوم بدأت في إعداد المعجم العسكري الموحَّد ، ظنت أن

المدى لإنجازه لن يطول ، وأنه سيتم خلال شهر أو بعض شهر ، ولكن قرارها الخاص بنقل المصطلحات العسكرية الحديثة ، جعل مدة الإعداد تطول إلى خمس سنوات كاملة ، كانت اللجنة خلالها تجتمع يومياً بدون راحة ، حتى في أيام الأعياد الرسمية ، حرصت أن تعمل فيها كسائر الأيام ، وشعارها : الاحتفال بالأعياد بالعمل .

فإذا انقضى يوم من أيام العمل الذي يبدأ في الساعة التاسعة صباحاً وينتهي بانتهاء العمل المخصص لذلك اليوم ، في عمل دائب منظم ، حمل كل عضو من أعضاء اللجنة معه إلى مستقره عملاً إضافياً يؤديه في أوقات راحته ، ويُطالب به صباح اليوم التالي :

وأخيراً تكلل مجهود اللجنة بالنجاح والحمد لله ، فأنجزت :

المعجم العسكري الموحَّد (انكليزي ـ عربي) .
المعجم العسكري الموحَّد (عربي ـ إنكليزي) .
المعجم العسكري الموحَّد (فرنسي ـ عربي) .
المعجم العسكري الموحَّد (عربي ـ فرنسي) .

يكفي أن أذكر أن المعجم العسكري الموحَّد (إنكليزي ـ عربي) وحده ، يضم بين دفتيه ثمانين ألف مصطلح عسكري .

(هـ) مراجعة المعجم العسكري الموحَّد وطبعه وتوزيعه :

آمنت لجنة إعداد المعجم العسكري الموحَّد ، أن هذا المعجم لن يتكامل إلا بمراجعته في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لكي يتدارك المجمع ما فيه من هفوات لغوية ، ولكي تكون له قيمة لغوية تحول دون

تنصل أي جيش عربي من الالتزام به بعد صدوره بحجة هفواته اللغوية .

لذلك بادرت اللجنة بعرض المعجم العسكري الموحَّد على مجمع اللغة العربية لمراجعته وإقراره ، فوافق المجمع مشكوراً على مراجعته ، وأوكل أمر مراجعته إلى لجنة مجمعية مؤلفة من ثلاثة أعضاء من أعضائه .

وعكفت اللجنة المجمعية على مراجعته ، فأكملت مهمتها على ما يرام .

إن المعجم العسكري الموحَّد يحوي عنصرين : العنصر العلمي العسكري الفني أولاً ، والعنصر اللغوي ثانياً .

ومن الطبيعي أن تكون لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية مسؤولة مسؤولية كاملة عن هذين العنصرين ، ولكن اللجنة المجمعية تشاطر لجنة إعداد المعجم المسؤولية في العنصر اللغوي من المعجم إلى درجة محدودة .

وحملت اللجنة المعجم إلى المطبعة ، فجرى طبع أجزائه بالتدريج ، وصدر إلى الناس ، وتولت جامعة الدول العربية توزيعه على الجيوش العربية والدول العربية ، وعلى المكتبات العامة والخاصة بموجب طلبات الجيوش والدول والمكتبات .

وكان ثمن النسخة يُساوي ثمن تكليفه ، فهو ليس مشروعاً تجارياً يقصد منه الربح ، بل هو مشروع بعيد عن كل مادة وكل شيء مادي .

وربما يتبادر إلى الأذهان أن الهيئة الإدارية التي ساعدت لجنة إعداد المعجم في طبع المسوّدات وتصحيحها ، وتنظيم المفردات تنظيماً معجمياً ، وتصحيح ملازم الطبع مرات . . . لابد أن تكون هيئة كبيرة ، تضم كتّاب الآلة الطابعة ، والمصححين ، والمنظمين ، والخبراء ،

والواقع أن هذه الهيئة كانت تضم شخصين فقط ، أحدهما يعمل على الآلة الطابعة ، والثاني يعمل في تنظيم المفردات تنظيماً معجمياً ! أما بقية أعمال إعداد المعجم ، فقد نهض بها أعضاء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية العربية الذين كانوا حتى ممثل مجمع اللغة العربية في القاهرة من الضباط ، الذين يفتقرون إلى التجربة الكافية للنهوض بمثل هذه الأعمال ، ولكنهم تسلحوا بالعزم والإخلاص ، فتغلبوا على الصعاب بسهولة ويسر وصبر وعناء .

[٦٦] أهميـــة المعجم العسكري الموحَّـد والالتزام به :

(أ) قرأت ترجمة لمذكرات أحد قادة الحرب العالمية الثانية الأجانب ، نقلها إلى العربية في الخمسينيات أستاذ جامعي : يتقن اللغة الأجنبية التي ترجم عنها ، ويتقن اللغة العربية التي ترجم إليها ، ولكنه لا يتقن المصطلحات العسكرية العربية ، فجاءت ترجمته تافهة هزيلة متهافتة ، قلبت معاني تلك المذكرات رأساً على عقب ، ومسخت المعلومات العسكرية الواردة فيها مسخاً .

مثلاً ترجم كلمة : (Section) الإنكليزية إلى كلمة : (**فرقة**) العربية ، وملاك الفرقة خمسة عشر ألف مقاتل بين ضابط وضابط صف وجندي .

والترجمة السليمة لهذه الكلمة الإنكليزية هي : (**حَضِيْرة**) ، وملاك الحضيرة بين ثمانية مقاتلين وعشرة مقاتلين من ضباط الصف والجنود فقط .

وشتان بين خمسة عشر ألف مقاتل فيهم عدد ضخم من الضباط ، وبين ثمانية مقاتلين وعشرة مقاتلين ليس بينهم أي ضابط .

ولست بصدد نقد هذا الأستاذ الجامعي ، ولكن بصدد تبرئة ساحته من التقصير ، لأن هذا الأستاذ ترجم الأسلوب العسكري بمصطلحات مدنية من عنده ، لأنه حُرم من معجم عسكري عربي يستعين به في ترجمته ، بسبب ما تحاط به المعجمات العسكرية العربية من سرية لا أعرف لها سبباً ولا مسوِّغاً .

إن مفردات المصطلحات العسكرية العربية الواردة في هذه المعجمات ، هي من صميم العربية ، وهي موجودة في معجمات اللغة ، فلماذا تكون تلك المفردات في المعجمات العسكرية سراً ولا تكون سراً في معجمات اللغة ؟؟

وكمثال على ذلك ، فإن كلمة : (مِدْفع) ليست سراً ، ولكن عدد (المدافع) وأنواعها ومواضعها وأساليب استخدامها ومستودعاتها هي السر الذي ينبغي أن يبقى طي الكتمان الشديد .

وحين أرادت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية الاستعانة بالمعجمات العسكرية الأجنبية : الإنكليزية والأمريكية والكندية والفرنسية والروسية والمعجم العسكري لحلف الأطلسي ، استطاعت أن تشتري هذه المعجمات من المكتبات العامة ، واستوردت المعجمات العسكرية غير المتيسرة في المكتبات العامة بالقاهرة من الخارج ، وهذه المعجمات العسكرية الأجنبية بدون استثناء متيسرة في المكتبات العامة ، ويستطيع اقتناءها العسكريون والمدنيون متى أرادوا من تلك المكتبات .

لقد كانت المعجمات العسكرية العربية سرية لا تبـاع في المكتبات ، ويقتنيها العسكريون وحدهم ، فلما صدر المعجم العسكري الموحَّد كسر هذه السرية التي لا معنى لها ، وأصبح متيسراً في المكتبات العامة ، مشاعاً للمدنيين وللعسكريين .

وقد كان المدنيون الذين يترجمون الكتب العسكرية التاريخية أو الجغرافية ، أو الخاصة بعلم النفس العسكري ، أو كتب الثقافة العسكرية العامة مثل مذكرات قادة الحرب ، أو يترجمون المقالات العسكرية من الصحف والمجلات الأجنبية ، أو الذين يترجمون التعليقات العسكرية التي تذاع من الإذاعات الخارجية ، بأمسِّ الحاجة إلى المعجمات العسكرية ، وقد تيسر لهم المعجم العسكري الموحَّد بعد صدوره ، فلا عُذر لمن لا يقتنيه ولا يلتزم به في ترجمته .

وما يقال عن المترجمين المدنيين ، يقال عن المذيعين في الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية ، فإن التزامهم بالمعجم العسكري الموحَّد يطهِّر لغتهم من الألفاظ الأجنبية الدخيلة ويطوِّعها للألفاظ العربية الفصحى الأصيلة ، كما يعمل عملاً مؤثراً في إشاعة المصطلحات العسكرية الموحَّدة .

وكل مثقف عربي مدعوٌّ للالتزام بالمعجم العسكري الموحَّد ، ليتكلم العرب لغة عسكرية واحدة ، لا لغات عسكرية متناقضة شتى .

(ب) وأهمية المعجم العسكري الموحَّد لا تقتصر على المثقفين العرب بل تتعداها إلى الكتب العسكرية العربية الفنية .

إن الكتاب العسكري العربي المطبوع في قطر عربي من الأقطار

العربية ، يستعمل في جيش ذلك القطر وحده ، ولا يستعمل في الجيوش العربية الأخرى ، لأن تلك الجيوش لا تستطيع فهمه نظراً لاختلاف المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية .

والكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في قطر عربي تخرِّج ضباطاً وضباط صفٍ ، لذلك القطر العربي وحده ، لأن سياق التدريب والمصطلحات العسكرية في الجيوش العربية متناقضة ، فالعسكري الذي يتخرج في كلية عسكرية في قطر عربي ما ، ثم يعود إلى قطره عليه أن يعيد تدريبه مبنى ومعنى ، كالذي يتخرج في كلية عسكرية أجنبية .

والقائد العسكري الذي يصدر أوامر عسكرية في الميدان ، يصعب على العسكريين الذين ينتسبون إلى غير قطره فهم أوامره ، ويصعب عليهم تنفيذها نتيجة لذلك .

إن توحيد المصطلحات العسكرية والالتزام بتطبيق المعجم العسكري الموحَّد ، عاملان رئيسان لوضع التعاون العسكري العربي في السلم والحرب موضع التنفيذ .

وإذا كان التعاون العسكري العربي ضرورياً قبل وجود كيان العدو الصهيوني ، فإنه أصبح بعد وجوده قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب .

ولن يتم التعاون العسكري العربي ، إلا إذا توحَّدت المصطلحات العسكرية العربية بالالتزام المطلق بالمعجم العسكري الموحَّد .

وهذا الالتزام بالمعجم العسكري الموحد ، يقضي قضاءً مبرماً على الكتب العسكرية القُطْرِيَّة ويجعلها كتباً عسكرية عربية ، تشيع الانسجام الفكري بين العسكريين في القضايا العسكرية الفنية ، وتشيع الانسجام

الفكري بين الأمة العربية في قضايا الثقافة العسكرية العامة .

وهــذا الالتـزام ، يجعل الكليـات والمعاهـد والمدارس العسكـرية القطرية كليات ومعاهد ومدارس عسكرية عربية ، يغترف منها العسكريون العـرب التـدريب العسكـري الفني ، وينهلون منهـا الثقـافـة العسكـريـة الموحَّدة .

وهــذا الالتزام ، يجعل الأوامر التي يصدرها قائد عسكري من قـادة العرب العسكريين مفهومة من العسكريين العرب في كل مكان .

إن توحيد الجيوش العربية هو الحجر الأساس لبناء الوحـدة العربيـة الشاملة ، فلا وحدة للعرب بدون قوة ضاربة ، ولا قوة ضاربـة إذا بقيت الجيوش العربية متفرقة .

والأساس لتوحيد الجيوش العربية هو توحيد مصطلحاتها العسكرية لكي يشيع الانسجام بين منتسبيها أولاً ، ولكي تستطيع التفاهم فيما بينها ثانياً ، ولكي تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً في السلم والحرب .

ولا يمكن توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، إذا لم نلتزم بالمعجم العسكري الموحَّد ، وخلفناه وراءنا ظهرياً !!

لقد فعلت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيـوش العربيـة كل ما بوسعها أن تفعل في إعـداد المعجم العسكري المـوحد وطبعـه ونشره وإخراجه للناس .

وبقي على العـرب أن يفعلوا كل مـا بـوسعهم أن يفعلوه في الالتـزام بالمعجم العسكري الموحَّد ، من أجل حاضرهم ومستقبلهم ، ومن أجل الحفاظ على سلامة لغة القرآن الكريم .

فإن لم يفعلوا اليوم ، فسيفعلون غداً ، وكل آت قريب .

[٧] درجـــة التزام العرب بالمعجم العسكري الموحَّــد :

(أ) إن العربي الأصيل والمسلم الحق ، بعد أن تتبع ما بذلتـه لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربيـة من جهود مكثفـة مضنية طـويلة مخلصة ، في تحقيق الحلم البعيـد الذي أصبـح حقيقة بـإخراج المعجم العسكري الموحَّد ، الذي حقق أملين طالما راودا المخلصين من العرب المسلمين : توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العـربية أولاً ، وتطهيرها من المصطلحات الأجنبية والـدخيلة ثانيـاً ، فحقق هذا المعجم هذين الأملين للعرب المخلصين حقاً ، وكان تحقيقها أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع .

هذا العربي الأصيـل وليس من قواريـر ، والمسلم الحق ، وليس من الجغرافيين ، وبعد أن تتبع فوائد الالتزام بهذا المعجم التزامـاً صارمـاً ، لحاضر العرب ومستقبلهم من الناحيتين السياسية والعسكـرية ، ولتـوحيد الجيوش العربية وإشاعة الانسجام الفكري في صفوفهـا بتوحيـد تدريبهـا وتعليمها ومؤسساتهـا العسكريـة العلمية ومـا تصدره من كتب ودراسـات عسكرية تدريبية وتعليمية وفنية وتعبوية وسَوْقية وثقافية ، لابد أن يتساءل : ما درجة التزام العرب بـالمعجم العسكري المـوحَّـد لخدمـة مصالحهم المصيرية ؟

وسأجيب على هذا التساؤ ل ، بصفتي رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، وممثل مجمـع اللغة العـربية المصـري في اللجنة ، وممثل عدة دول عربية اعتذرت عن إيفاد ممثليها في اللجنة ، لأنها لا تملك من يقوم بهذه المهمة كما ينبغي في اللجنة من ضباطها ، فجعلتني

وكيلاً مفوضاً عنها في المرحلة الأولى من إعداد المعجم ، وممثل جميع الدول العربية عدا مصر والعراق وسورية ولبنان في المرحلة الثانية من إعداد المعجم : إن الالتزام بالمعجم من الدول العربية كان متفاوتاً بين الإفراط والتفريط ، كما هو شأن هذه الدول بكل أمورها .

فقد التزم به قسم من الدول العربية التزاماً كاملاً ، فطبقته في جيوشها وطبقته في أجهزة إعلامها ، وعممته على مؤسساتها التدريسية .

وقد أغفل قسم من الدول العربية الالتزام به ، كأنه لم يصدر ولم تسمع بصدوره ولا وصلت نسخة منه إليها .

وللتاريخ أذكر ، أن نسخاً من المعجم أُهديت إلى ملوك ورؤساء الدول العربية وإلى وزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش ومؤسساتها العسكرية ، وسُلِّمت بعض النسخ المهداة يداً بيد في أحد مؤتمرات القمة التي عقدت في جامعة الدول العربية ، وسُلِّم بعضها بيد سفراء الدول العربية المعتمدين في القاهرة ، وتسلمت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية رسائل من السادة المهداة إليهم المعجمات العسكرية الموحَّدة ، فلا عذر لمن يدعي أنه لا علم له بصدور المعجم أو لم يتسلم نسخة أو أكثر منه .

وكنت أرصد الدول التي أخذت بالمعجم والدول التي أغفلته ، فسافرت شرقاً وغرباً في زيارة الدول التي لم تأخذ به وأغفلته ، وكلَّمت قمة المسؤولين فيها ، فوعدوا خيراً ، ثم لم يبروا بوعدهم !!

وكنت أسأل عن سبب إغفال المعجم من المسؤولين العسكريين في أعلى المستويات ، فقيل لي : إن الجيش اعتاد المصطلحات العسكرية القديمة ، وللمرء من دنياه ما قد تعوَّدا ، ومن الصعب عليه أن يستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنىٰ !

وأنظر في مصطلحاتهم العسكرية التي يعتزون بها ولا يصبرون على فراقها ، فلا أرى إلا مصطلحات أجنبية دخيلة لجيش استعماري كان يحتل بلادهم ويمتص دماءهم ويستهين أول ما يستهين بجيشهم !

وقد اتخذت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية كل الاحتياطات الممكنة مما ذكرته سابقاً ومما لم أذكره ، ومما يخطر على البال ومما لا يخطر ، لكي تقطع الطريق على الدول العربية التي تضمر التنصل من الالتزام بالمعجم العسكري الموحَّد ، فذهبت ما اتخذته من احتياطات أدراج الرياح .

ولا أقنط من رحمة الله ، فالأمل أن تلتزم به سائر الدول العربية التي لم تلتزم به حتى اليوم .

وما دام المعجم العسكري قد أصبح واقعاً لا مراء فيه ، فإن الالتزام به حتمي اليوم أو غداً ، فلا أظن عربياً كائناً من كان نيةً واتجاهاً ، يفضل لغة المستعمر على لغة القرآن الكريم .

(ب) ولعل ظروف جامعة الدول العربية الراهنة ، ساعدت في تخلف قسم من الدول العربية عن الالتزام بالمعجم العسكري الموحَّد ، فهذه الجامعة هي المسؤولة عن نشره وتوزيعه ، وقد هاجرت من مقرها الدائم في القاهرة إلى مقرها المؤقت في تونس ، فتركت نسخ المعجم في مستودعات كتبها بالقاهرة ، كما بقيت رُقوق المعجم في مطبعة دار المعارف بالقاهرة ، فلا تستطيع الجامعة في هذه الظروف توزيع المعجم ولا إعادة نشره إلا إذا تحركت وبذلت قليلاً من الجهد .

إن الجامعة تستطيع أن تعيد نشره بمطابع الاستنساخ ، ثم تقوم بتوزيعه على الدول العربية ، إلا أن هذه العملية تحتاج إلى من يُشرف على إخراجها إلى حيِّز التطبيق العملي ، وبإمكانها الاستعانة باللجنة التي أعدت المعجم أو بقسم من أعضائها ، ليؤدوا واجبهم في تنفيذ هذه العملية .

ولتذكر جامعة الدول العربية ، أن توحيد المصطلحات العسكرية العربية وإخراج المعجم العسكري الموحَّد ، هو أول وأبرز عمل علمي أنجزته الجامعة في تاريخها ، وهو إنجاز وحدوي لا غبار عليه تفخر به الجامعة وتعتد به ، وهو يستحق منها بعض العناء .

وتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، كان أول عمل وحدوي علمي نجحت الجامعة في إخراجه إلى حيز التنفيذ ، ولم تنجح في مشروع وحدوي ولا علمي قبله ، ولا أظنها تنجح بعده ، فقد حاولت منذ أكثر من عشر سنوات توحيد المصطلحات الإدارية العربية ، وهي أقل من ألف مصطلح عدّاً ، فما نجحت في تحقيق هذا التوحيد حتى اليوم ، ولو تولى أمره أحد أعضاء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية لأنجزه من زمن بعيد .

فلابد للجامعة من إعادة طبع المعجم ونشره ، فهو إنجاز عظيم له ما بعده بإذن الله .

وبهذه المناسبة ، فقد نشر المعجم قبل عشر سنوات تقريباً ، فاستجدت كثير من المصطلحات العسكرية ، لأن الأسلحة والمعدات والأجهزة في تطور سريع ، فعلى الجامعة أن تعيد تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية من جديد ، لإصدار ملحق للمعجم يضم ما استجد من

مصطلحات عسكرية حديثة .

وأخشى أن أكون قد أزعجت الجامعة وعكّرت عليها صفو راحتها ، وهي تغط في نوم عميق .

(ج) بقي علي أن أمر بسرعة بالمصطلحات العسكرية للدول الإسلامية الأخرى ، فظروف مصطلحاتها العسكرية تشابه تماماً ظروف المصطلحات العسكرية العربية .

وقد زرت إحدى الدول الإسلامية زيارة رسمية سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٦٤م) ، وشهدت تدريب جيشها ، وسمعت محاضرة عسكرية فيها ، فكانت جميع المصطلحات العسكرية السائدة في جيش تلك الدول الإسلامية مصطلحات أجنبية بلغة المستعمر الذي رحل سياسياً واستقر فكرياً .

ولذلك الجيش لغة إسلامية عريقة جداً ، فما ينبغي أن تسود اللغة الأجنبية على اللغة الأصلية .

وكما أحرص على اللغة العربية الفصحى ، أحرص على لغة الدول الإسلامية ، وقد حدثت أحد كبار علمائها الذي صادفته في موسم من مواسم الحج ، عن المصطلحات العسكرية السّائدة في جيش بلاده ، فوعد أن يثير هذه المشكلة ويعمل على وضع حدٍ لها .

ولا أزال أنتظر أن يبر بوعده ، وقد طال الانتظار كثيراً .

والله أسأل أن يطهِّر اللغة العسكرية في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج ، واللغات العسكرية الإسلامية من المحيط إلى المحيط ، من المصطلحات العسكرية الأجنبية والدخيلة ، إنه سميع مجيب .

الفصل السادس

الأسلحة العربية الإسلامية القديمة

[١] الأهميـــــــــــة :

استعمـل العرب المسلمـون الأسلحة العـربية الإسـلامية في غـزوات النبي ﷺ وسراياه ، وفي معارك حروب الرِدَّة ، وفي معارك الفتح الإسلامي العظيم ، وفي معارك استعادة الفتح ، وفي المعارك الدفـاعية عن البـلاد الإسلامية ، وفي معركة (عين جالوت) بقيادة قطز على التتار ، وفي معارك صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين .

وكان من نتائج غزوات النبي ﷺ وسراياه ، التي استمرت سبع سنوات

فقط (الرسول القائد : ٤٢٣) توحيد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام ، لأول مرة في التاريخ ، ولربما لآخر مرة أيضاً ، إذ لم يوحِّدها غيره حتى اليوم .

وكان من نتائج معارك حروب الردَّة التي استمرت سنة أو بعض السنة : **إعادة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام ، وإعادة الوحدة إلى صفوف المجاهدين التي لولا إعادتها لما كان الفتح الإسلامي ممكناً ، ولظل العرب في ديارهم يتخذون خطة الدِّفاع ، والمدافع لا ينتصر أبداً .**

وكان من نتائج معارك الفتح : فتح بلاد شاسعة تمتد من الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً ، ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً ، وإحراز انتصارات حاسمة على أعظم إمبراطوريتين : الفرس والروم ، وغيرهما من الأمم العريقة .

وكان من نتائج معارك استعادة الفتح : إعادة فتح البلاد التي انتقضت إلى حظيرة الدولة الإسلامية من جديد بعد انتقاضها .

وكان من نتائج المعارك الدفاعية عن البلاد الإسلامية : بسط الحماية القادرة على تلك البلاد ، وصد غارات المعتدين والطامعين عنها .

وكان من نتائج معركة (عين جالوت) : كسرُ شوكة تعرض التتار الكبير لأول مرة على بلاد المسلمين ، وصدهم عن تنفيذ خطتهم المتعرضة للسيطرة على سائر بلاد المسلمين .

وكان من نتائج جهاد صلاح الدين الأيوبي : تحرير كثير من البلاد العربية من سيطرة الصليبيين ، وكان على رأس البلاد المحررة مدينة القدس ، والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الطاهرين .

وكان استعمال العرب المسلمين للأسلحة العربية الإسلامية القديمة ،

سبباً من أسباب انتصارهم في تلك المعارك على أعدائهم ، فمن المفيد معرفة هذه الأسلحة وأساليب استعمالها ، لمعرفة سبب من أسباب انتصار المسلمين في مسيرتهم الطويلة المظفرة ، ولتفصيل المعارك القتالية التي استعملت فيها هذه الأسلحة من أجل تقريبها إلى الأفهام ، وهذا التفصيل مفيد للغاية في إعادة كتابة تاريخ المعارك العربية الإسلامية من جديد بأسلوب واضح خالٍ من التعقيد .

[٢] المنهاج :

والأسلحة العربية الإسلامية كثيرة العدد ، وازداد عددها كمّاً ونوعاً بالتدريج ، ولم تبق على ما هي عليه من أيام غزوات النبي ﷺ وسراياه إلى المعارك الدفاعية ، بل تطورت وتكاثرت يوماً بعد يوم .

لقد كان العرب المسلمون يتحلون بمزية (المرونة) في القضايا العسكرية عامة : في التسليح والقضايا التعبوية والتنظيمية وأساليب القتال .

وكمثال على ذلك ، فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه اقتبس أسلوب الكراديس ، قبل معركة اليرموك ، نتيجة لاستطلاعه الشخصي لقوات الرُّوم قبل أن ينشب القتال ، وخرج في تعبية لم تُعبِّها العرب من قبلُ في ستة وثلاثين كُردوساً إلى الأربعين (الطبري : ٣/٣٩٦) ، وباشر القتال بهذا الأسلوب القتالي ، فأحرز النصر على الروم في تلك المعركة الحاسمة .

وما كان خالد لينتصر على الروم ، لو جمد على أسلوب العرب القتالي القديم : الكرّ والفرّ ، وأسلوب الصفوف ، ولكنه اقتبس من الرُّوم

ما وجده صالحاً لجيش المسلمين في القتال ، وطبَّقه فوراً ، ولم يبق جامداً على الأساليب القتالية القديمة .

كذلك كان العرب المسلمون يقتبسون صنوف الأسلحة من أعدائهم ، كما كان أعداؤهم يقتبسون منهم صنوف الأسلحة ـ نتيجة للمعارك التي يخوضونها ـ فكانت هجرة الأسلحة من جانب إلى جانب من جملة الدروس المستفادة من تلك المعارك .

لقد كانت أسلحة المسلمين عند ظهور الإسلام في غاية البساطة : رماحهم من مُرَّان (شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة) ، وأسنتهم من قرون البقر ، يركبون الخيل في الحرب أعراء ، فإن كان الفرس ذا سرجٍ فسرجه رِحاله (سرج من جلدٍ بلا خشب) ، من أَدَم (الجلد غير المدبوغ ، ويطلق على المدبوغ أيضاً) ، ولم يكن ذا ركاب ، والرِّكاب من أجود آلات الطَّاعن برمحه ، والضارب بسيفه ، وكان فارسهم يطعن بالقناة الصمَّاء ، بينما الجوفاء أخف حملاً وأشد طعنةً ، وكانوا يفخرون بطول القناة ، ولا يعرفون الطعن بالمطارد (جمع مطرد ، وهو الرمح القصير) ، وإنما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان ، وكانوا في ابتداء الفتح الإسلامي لا يعرفون الرُّتيلة (آلة تقذف الحصيات على العدو) ، ولا العرَّادة (آلة حربية تشبه المنجنيق) ، ولا المجانيق ، ولا الدبابات ، ولا الخنادق ولا الحَسَك (خناجر تصنع من الحديد الصلب ، لها شعب تغرز أنصبتها في الأرض حول المعسكر ، أو حول الموضع الدفاعي ، حتى إذا دبَّ العدو إلى المعسكر أو الموضع ، أنشبت في أرجل الخيل أو الرجالة ، فتمنعهم من الدنو) ، ولا يعرفون الأقْبِيَة (جمع قباء : ضرب من الثياب ، أخذتها العرب من الفرس) ، ولا السراويلات ، ولا تعليق السيوف ، ولا الطبول ولا البنود (جمع بند ، والبند : العلم الكبير) ،

ولا التجـافيف (جمع التجفـاف ، بكسر التـاء ، آلة يُغَـطَّى بها الفـارس والفـرس في الحـرب للوقـايـة) ، ولا الجـواشن (الجـواشن : صـــدور الدروع ، وقد تطلق على الدرع كله) ، ولا الرمي بالمنجنيقات ولا الزرق بالنفط والنيران .

تلك بعض مطاعن الشعوبية على العرب بشأن آلات الحرب ، كما نقلها الجـاحظ في كتـابـــه : (البيـان والتبيين : ١٣/٣ ـ ١٦) ، ورد عليهـا (١٧/٣ ـ ٢٤) ، ولا أرى في هـذه المطاعن شيئاً يستحق الـرد ، فهي مفـاخر لا مـطاعن ، وكفى العرب فخـراً أنهم تغلبوا على أعـدائهم بهذه الأسلحـة البسيطة البـدائيـة ، بينمـا كـانت أسلحـة أعـدائهم أفضـل من **أسلحتهم ، فالأهم من السلاح اليد التي تستخدمه ، وقد انتصـر العرب المسلمون بهذه الأسلحة البدائية بفضل الأيدي المتوضئة التي استخدمتها في القتال .**

ومن المعروف في تاريخ السلاح في العالم ، أن السلاح ينتقل من أمة إلى أخرى بعد انكشاف أمره وفضح أسراره ، وبمجرد استعماله في المعركة لا يبقى سراً من الأسرار العسكرية ، بل يصبح معروفاً للصديق والعدو معاً .

والمنهاج الذي أعتمده في هذه الدراسة يهدف إلى التركيز على أهمية دراسة الأسلحة العربية القـديمة ، للدلالـة على الطريق فحسب ، تـاركاً للباحثين سلوكه ، لأن الدخول في تفصيلات سلاح واحد كالسيف مثلاً ، يستغرق كتاباً مستقلاً ووقتاً طويلاً .

ولكن لابد من التطرق إلى أنواع الأسلحة ، وخاصة المهمة منها ، مع شيء من الوصف لها ، لنعين الدارس على سلوك الطريق .

[٣] التدريب على السـلاح :

لا قيمة لأي سلاح من الأسلحة إلا باستعماله ، والتدريب على استعمال السلاح تدريباً راقياً دائباً هو الذي يؤدي إلى استعماله بكفاية ، والمقاتل المدرب على استعمال سلاحه هو وحده يستطيع استعماله بنجاح ، أما المقاتل غير المدرب فلا يستفيد من سلاحه كما ينبغي ، والمدرَّب يستطيع التغلب على غير المدرَّب بسهولة ويسر .

ومن الضروري أن يثق المقاتل بسلاحه ، والثقة تتم بالتدريب على استعمال السلاح ، فإذا كان المقاتل لا يثق بسلاحه لضعف تدريبه أو لضعف السلاح ، فإن مصير هذا المقاتل مصير لا يُحسد عليه .

وقد كان العرب قبل الإسلام يتدربون على استعمال السلاح ، ولكن لم يكن تدريبهم إلزامياً ، فكان منهم من يتدرب ومنهم من لا يتدرب بحسب رغبته وهواه .

فلما جاء الإسلام أمر بالتدريب وحث عليه ، لأن الجهاد فرض على كل مسلم قادر على حمل السلاح ، فالمسلمون كلهم جند في جيش المسلمين ، يجاهدون في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على الرمي ، والرمي كما هو معروف ، هو الاختبار العلمي للتدريب على السلاح ، فإذا كان الرامي (هدَّافاً) كان ذلك دليلاً على تدريبه المتقن الراقي ، وإذا كان الرامي (وَسَطاً) كان تدريبه وسطاً أيضاً ، أما إذا كان (ضعيفاً) ، فهو ضعيف في تدريبه .

فقد مر الرسول ﷺ على نَفرٍ من (أَسْلَم) - إحدى القبائل العربية -

يَنْتَضِلون بالسّوق ، فقال : « **ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بني فلان** » ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما لكم لا ترمون ؟** » ، فقالوا : « **كيف نرمي ، وأنت معهم ؟** » فقال : « **ارموا وأنا معكم كلكم** » (رواه أحمد والبخاري) .

وعن عُقْبَة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي** » ، (رواه أحمد) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **مَنْ عَلِمَ الرمي ، ثم تركه ، فليس منا** » (رواه أحمد) ، وقد شوهد كثير من الأئمة وكبار العلماء يمارسون الرمي بعد أن بلغوا الشيخوخة المتقدمة ، ومنهم : **الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه** ، فإذا سُئلوا عن سبب هذه الممارسة أو لمحوا استغراب الناس مما يفعلون ، أجابوا المتسائلين والمستغربين بهذا الحديث النبوي الشريف .

ومعنى هذا الحديث أن المسلم يجب أن يمضي في تدريبه على السلاح من المهد إلى اللحد دون توقف بسبب العمر أو العمل أو غيرهما من أسباب .

وعن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله يُدْخِل بالسّهم الواحد ثلاثة نَفَرٍ الجنة : صانعه الذي يحتسب في صَنْعَته الخير ، والذي يُجهِّز به في سبيل الله ، والذي يرمي به في سبيل الله** » ، وقال : « **ارموا واركبوا ، وأن ترموا خيرٌ لكم من أن تركبوا** » ، وقال : « **كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل ، إلا ثلاثاً : رَمْيَه عن قَوْسه ، وتأديبه فرسَه ، وملاعبته أهله** » (رواه الخمسة : أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كانت بيد رسول الله ﷺ قَوْس عربية ، فرأى رجلًا بيده قوس فارسية ، فقال : « **ما هذه ؟ أَلْقِها ، وعليك بهذه وأشباهها ، ورِماح القَنَا ، فإنهما يؤيد الله بهما في الدِّين ، ويمكِّن لكم في البلاد** » (رواه ابن ماجه) .

وعن عمـرو بن عنبَسَة ، قـال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **مَنْ رمى بسهمٍ في سبيل الله ، فهو له عَدْلُ مُحَرَّر** ـ مثل عتق رقبة حررها ـ » ، (رواه الخمسة ، وصححه الترمذي) .

وبالإمكان اتخاذ أهداف للتصويب عليها في التدريب على الرمي من الأحجار أو الأخشاب وسائر المواد التي لا روح فيها ، فقد لعن النبي ﷺ مَن اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غَرَضاً** ـ هدفـاً يرمى بـالسهام ـ » ، (رواه مسلم وأحمـد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه » .

ودخل أنس بن مالك رضي الله عنه دار الحكم بن أيوب ، فإذا قوم نصبوا دُجاجة يرمونها ، فقال : « **نهى رسول الله ﷺ ، أن تُصْبَر البهائم** » (رواه البخاري ومسلم وأحمد) .

وكان الذي يجيد الرماية في عهد الرسول القائـد عليه أفضـل الصلاة والسلام يشار إليه بالبنان ، ويرفع ذكره بين الناس .

فسَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ في غزوة (أُحُـــد) ، وكان من أرمى الناس ، فكان يجمع له الرسول ﷺ أبويه ويقول له : « **ارم فداك أبي وأمي** » (البخاري ومسلم) .

قـال سعد : « جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أُحُـد » (فتح الباري شرح البخاري : ٧/٦٦) .

وكان من مهرة الرماة يوم (أُحُـد) سَهْل بن حُنَيْف رضي الله عنه الذي بايع النبي ﷺ على الموت ، وجعل ينضح عنه بالنَّبل حتى كشف الناس فكان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه : « نَبِّلُوا سَهْلاً » (أسد الغابة : ١/٣٦٥) ، أي : اعطوه نبلكم .

وكان رماة المسلمين يوم (أُحُـد) خمسين ، ويومها رمى النبي ﷺ عن قوسه (الكَتُوم) حتى صار شظايا ، فرمى بالحجر ، (ابن سعد : ٢/٢٩) ، وكسر أبو طلحة يومئذٍ قوسين أو ثلاثة (البخاري شرح القسطلاني : ٥/٩٥) .

هؤلاء الهدافون ذكرهم النبي ﷺ وذكرهم أصحابه ، ولا يزال ذكرهم يضيء صفحات التاريخ وكتب الرجال بالتقدير والثناء ، لأن أحدهم كان هدَّافاً ماهراً في الرمي .

ولا أعرف عقيدة عسكرية غير العقيدة العسكرية الإسلامية ، أمرت بالتدريب على السلاح ، ونهت عن التخلف عنه ، وشجعت المتفوقين فيه ، وكرَّمتهم في حياتهم وبعد موتهم ، مما أدى إلى تفوق المسلمين في التدريب على استخدام أسلحتهم ، ومهارتهم في استعمالها في ميادين القتال .

ومن الواضح أن حرص المسلمين على التدريب ، وتفوقهم فيه ، كان سبباً من أسباب انتصارهم في المعارك التي خاضوها .

[٤] الأسلحـــــــة الفرديــــة القديمـــة :

(أ) القـــوس والسَّـــهم[١٣] :

أولاً ـ القـــــوس :

القـــوس [١٤] في الأصل ، عود من شجر جبلي صلب ، يُحنى طرفاه بقوة ، ويُشد فيهما وترٌ من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير ، وهويشبه إلى حدٍ ما قوس المنجِّدين في هذه الأيام .

وكان العرب يسمونها الذِّراع ، لأنها في طولها ، ولذا كانوا يتخذون منها وحدة للقياس ، فيقيسون بها المذروع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوسَـــيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ، (النجم : ٩) ، أي قدر قوسين عربيين أو قدر ذراعين .

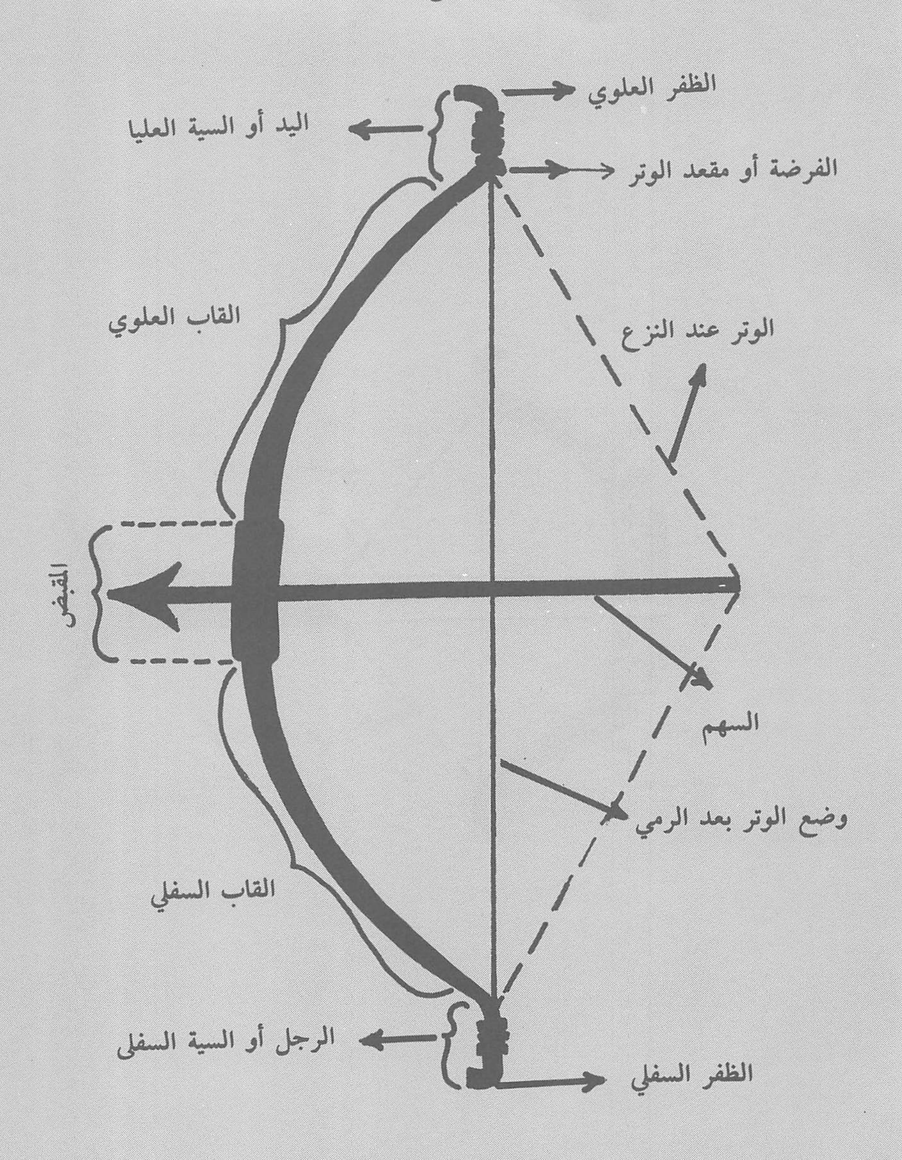
وعلى الرامي إذا أراد الرمي ، أن يمسك وسط القوس باليسرى ، ثم يثبت السهم في وسط الوتر باليمنى ، ثم يجذبه إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه ، مسدداً بنظره إلى الهدف ، فإذا بلغ الوتر نهايته تركه من أصابعه ، فاندفع إلى وضعه الأول ، دافعاً أمامه السهم إلى هدفه .

وللقوس أجزاء ، تجد أسماءها في الشكل المـرفق (الشكل رقم ١) و (الشكل رقم ٢) .

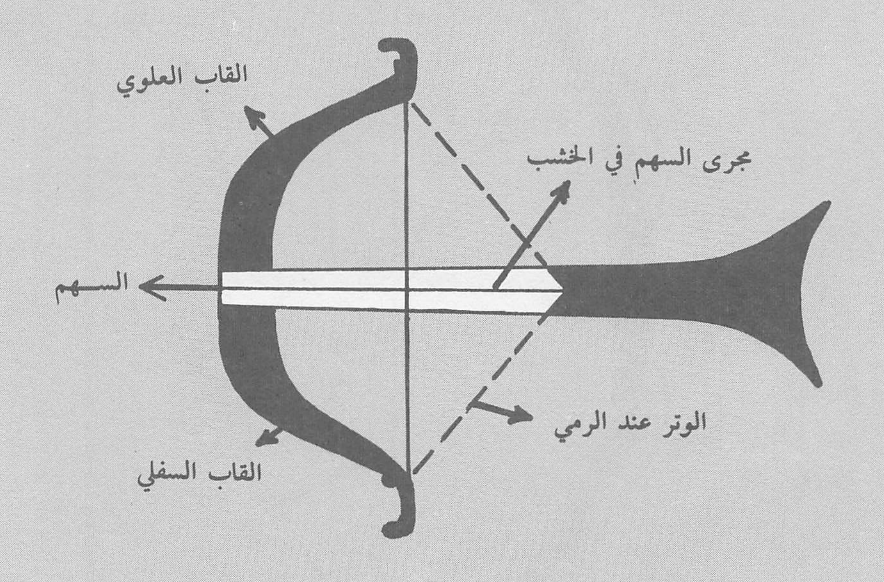
---

(١٣) انظر التفاصيل في : الفن الحربي في صدر الإسلام (١٣٠ ـ ١٤٢) ـ عبد الرؤوف عون ـ القاهرة ـ ١٩٦١م .

(١٤) القـــوس : مؤنث كما جاء في نهاية الأرب (٦/ ٢٢٧) ، وتذكر وتؤنث كما جاء في المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٦) ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٣٩٣هـ .


القــوس
الظفر العلوي
اليد أو السية العليا
الفرضة أو مقعد الوتر
القاب العلوي
الوتر عند النزع
القبض
السهم
وضع الوتر بعد الرمي
القاب السفلي
الرجل أو السية السفلى
الظفر السفلي

(شكل ١)


القاب العلوي
مجرى السهم في الخشب
السـهم
الوتر عند الرمي
القاب السفلي

(شكل ٢)

ثانيــاً ـ السَّــــهم[١٥] :

القوس للرامي كالبندقية ، والأسهم كـطلقاتهـا ، ولابد للرامي من أن يحتفظ في كِنانته بعدد من الأسهم عند القتال .

والسَّهم والنبل والنشاب . . . أسماء لشيء واحد ، وهو عود رفيع من شجر صلب في طول الذراع تقريباً ، يأخذه الرامي فينحته ويسويـه ، ثم يفرض فيه فِراضاً دائرية ، ليركب فيها الريش ، ويشده عليها بالجلد المتين أو يلصقه بالغراء ويربطه ثم يركب في قمته نصلاً من حديدٍ مدبب ، له سنتان في عكس اتجاهه ، يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم .

وأجود الخشب للقوس والسهم ما اجتمع فيه الصلابة والخفة ورقة البشرة وصفاء الأديم ، وكان طويل العرق غير رخوٍ ولا متنفِّش ، وأجود الخشب بالمشرق عود الشوحط وبالأندلس الصنوبر الأحمر الخفيف .

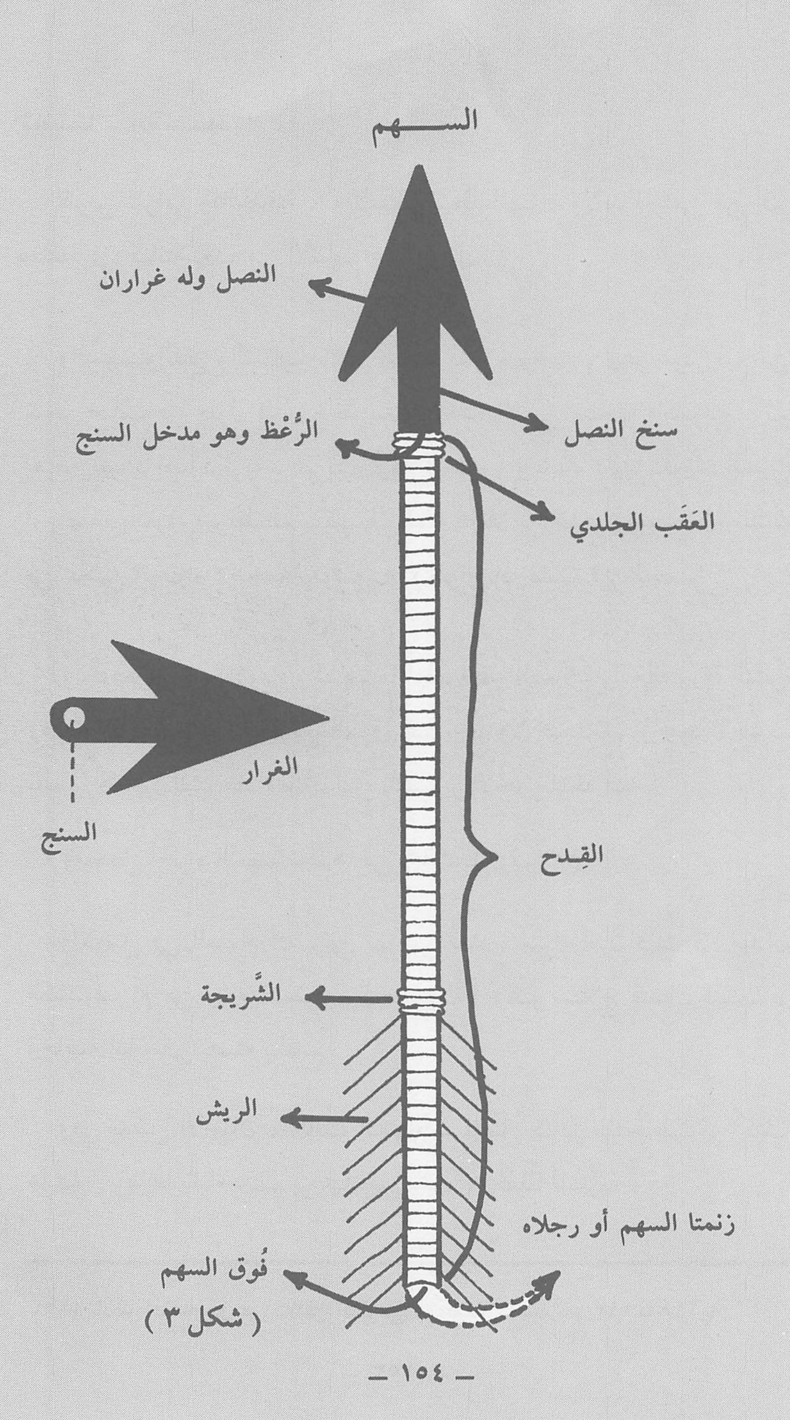
ومجمل أجزاء السهم تجدها في (الشكل رقم ٣) .

والأصل في السهام أن يُرمىٰ بها عن بُعد ، سواء أكان ذلك في ميدان مكشـوف أم من وراء الأسوار والحصـون ، وهـو سـلاح قَتّـال فتّـاك ، وخاصة إذا سقي نصله بالسم .

وفي بعض الأحيان ، كانت السهام تستعمل كـأداة للتخاطب ، يكتب عليها راميها ما يشاء ، ثم يرميها لمن يشاء ، حفظاً للسرية .

---

(١٥) انظر التفاصيل في : الفن الحربي في صدر الإسلام (١٤٣ ـ ١٤٨) .


السـهم
النصل وله غراران
سنخ النصل
الرُّعْظ وهو مدخل السنج
العَقَب الجلدي
الغرار
السنج
القِـدح
الشَّريجة
الريش
زنمتا السهم أو رجلاه
فُوق السهم
(شكل ٣)

(ب) الرُّمـــح :

كـان العربي يتخـذ رمحه من فـروع أشجار صلبـة ، أشهـرهـا النبـع والشوحط ، وأحياناً كان يأخذه من القصب الهندي المجوَّف بعد تسويـة عُقده بالسكين ، وتركيب نصل من حديد في رأسه .

ومجمل أسمـــاء أجزاء الرمح تجدها في (الشكل رقم ٤) .

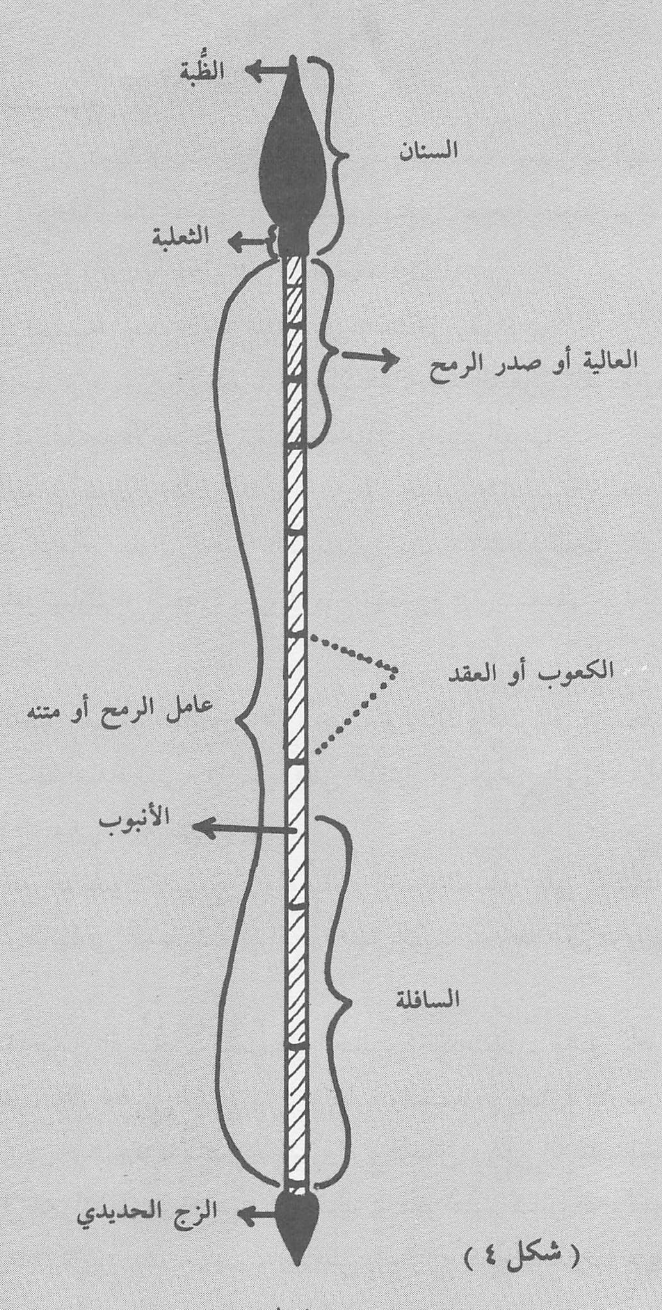
والرمح سلاح عريق في القدم ، شاع استعماله عند الشعوب القديمة ، وكان أكثر شيوعاً عند الأمم التي ترتاد الصحراء ، ومنهم العرب .

وكان للرماح أطوال مختلفة ، تتراوح بين الأربعة أذرع والخمسة والعشرة وما فوقها ، الرماح الطوال خاصة بالفرســان حيث تساعدهم الخيل على حملها ، أما النيازك أو المطارد وهي الرماح القصيرة فقد يستعملها الراجل والفارس أيضاً .

وفي اللغـة العربيـة الفصحى أن الحربـة والنيزك والمـزراق والمـطرد والعَنَزة ، كلها أسماء لشيء واحد ، وهي القصار من الرماح التي لم تبلغ أربعة أذرع ، وهي أشبه شيء بالعصا .

وكان العرب يعنون بالـرمح ، ويفضِّلون القنـاة الصماء على الجـوفاء لصلابتها وغنائها في المعارك ، فيوالون دهنها بالزيت لتحافظ على مرونتها ولدونتها .

وطريقة حمـل الرمـح ، كانت في الغـالب : الاعتقال ، وهـو خاص بـالفرسـان ، وهو جعـل الرمـح بين الركـاب والسَّــاق (نهـايـة الأرب : ٢١٨/٦) ، بحيث يكون النصل لأعلى والزج لأسفل ، على أنه كان لقسم من القبائل العربية طرائق خاصـة في حمله ، فبنو سُلَيْم كـانوا إذا ركبـوا يضعون رماحهم بين آذان خيلهم ، والأوس والخزرج كانوا يحملونها عليها


الظُّبة
السنان
الثعلبة
العالية أو صدر الرمح
الكعوب أو العقد
عامل الرمح أو متنه
الأنبوب
السافلة
الزج الحديدي

(شكل ٤)

مستعرضة ، أما قريش فكانوا يحملون رماحهم على عواتقهم (ابن هشام : ٣/٢٥٢) .

وكان المسلمون يقضون وقتاً طويلاً في التدريب على استخدام الرماح : إما بمطاردة الوحوش وطعنها بها ، وإما بإعداد حَلْقة من الحديد تسمى : (الوترة) يتمرنون على الطعن داخلها ، حتى حذقوا الطعن بها .

(ج) السَّـــــــيف[١٦] :

السيف أشرف الأسلحـة عند العرب وأكثرها غناء في القتال ، يحافظ العربي على سيفه ولا يكـاد يفارقـه ، وقد امتـلأت بتمجيده أشعـارهم ، وجاوزت أسماؤ ه المائة في لغتهم .

وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح ، وذلك أن القتال يكون أول أمره بالسِّهام عن بُعْد ، ثم تطاعناً بالرماح عند المبـارزة واقتراب الصفوف ، ثم تصـافحاً بـالسيوف عنـد الاختلاط ، ثم تضـارباً بالأسلحة البيضاء ، وخلساً بالخناجر عند الالتحام والاختلاط . . . (نهاية الأرب : ٦/٢٣٨) فهو الذي يحدد مصير المعركة ، وعلى حسن بـلائه تتوقف نهايتها .

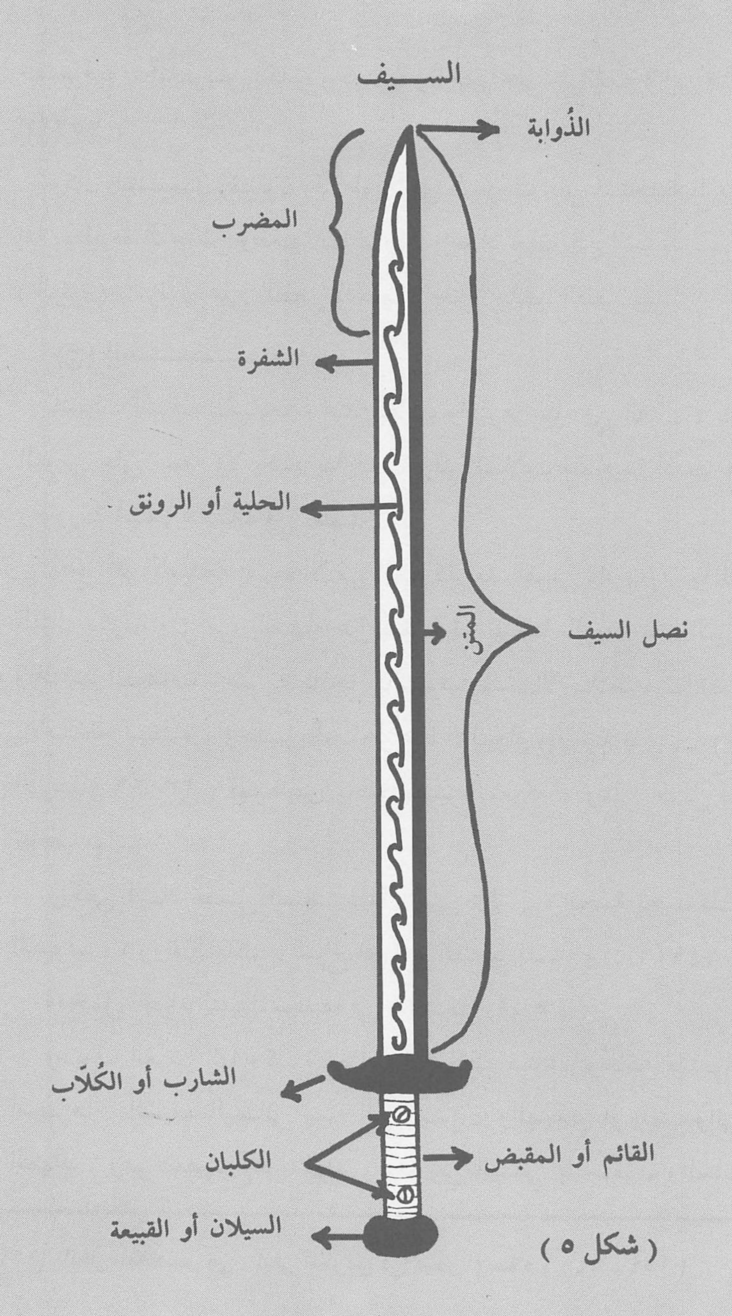
ويكفي لبيـان فضـل السيف قـول النبي ﷺ : « **الجنـة تحت ظـلال السيوف** » (رواه الحاكم ، شرح الجامع الصغير للمناوي : ١/٢٤٩) .

ومجمل أجزاء السيف تجدها في (الشكل رقم ٥) .

وسيوف العرب أنواع كثيرة تختلف باختلاف صنَّاعها وأماكن صنعها . . أشهـرها : **السيف اليمـاني** نسبة إلى اليمن ، **والهنـدي أو الهنـدواني أو المهند** ، وهو المصنوع في الهند ، وهو يلي اليماني بالجودة ، **والمشرفي**

---

(١٦) **انظر التفاصيل في : الفن الحربي في صدر الإسلام** (١٤٨ ـ ١٥٤) .


السيف
الذُوابة
المضرب
الشفرة
الحلية أو الرونق
المتن
نصل السيف
الشارب أو الكُلّاب
الكلبان
القائم أو المقبض
السيلان أو القبيعة

(شكل ٥)

المنسوب إلى مشارف الشام ، **والقَلَعي** نسبة إلى القلعة حصن بالبادية ، **والبُصْروِي** المنسوب إلى بُصْرى بالشـــام .

وطـريقة حمـل السيف ، تكون بتعليقـه في الأكتاف والعـواتق ، ولذا يقال : تقلَّد سيفه ، أي جعله كالقلادة ، وذلك بحمله على الكتف الأيمن وتركه متدلياً في جنبه الأيسر .

أما إذا كان الفارس يحمل سيفين ، فإنه يتقلد بأحدهما ويجعل الآخر في وسطه ، وقد علق كل واحد منهما في حمالته محفوظاً في قرابه الجلدي .

(د) الخنجـــــر[17] :

وهو معروف ، يحمله المحارب في منطقته ، أو تحت ثيابه ، فإذا اختلط بآخر طعنه به خلسة .

وقد كان قسم من نساء المسلمين يحملن الخناجر في الغزوات المختلفة تحت ثيابهن للدفاع الشخصي .

(هـ) الدبّـــــوس :

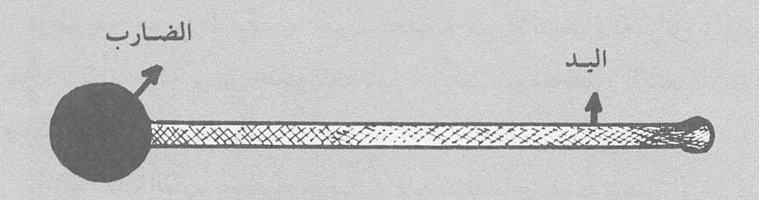
وبعضهم يسميها : المِطْرَقــة ، وهي عصا قصيرة من الحديد ، لها رأس حديد مربع أو مستدير ، وهي في العادة للفرسان يحملونها في سروجهم ويقاتلون بها عند الاقتراب . انظر (الشكل رقم ٦) .

(و) الفـــأس أو البلطـــة :

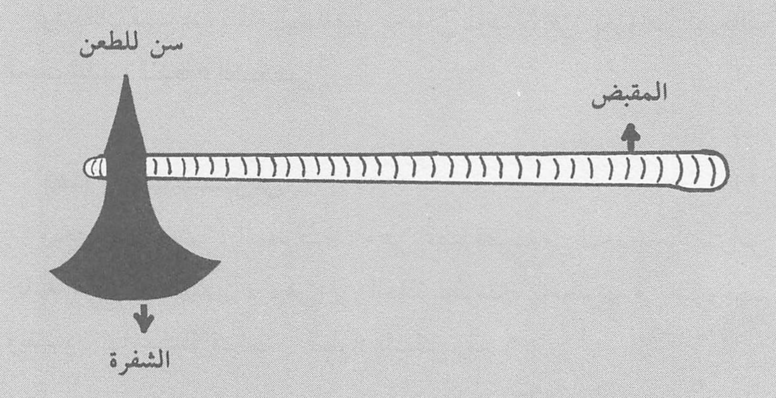
وهو سلاح له نصل من الحديد ، مركب في قائم من الخشب ، كالبلطة

---

(١٧) انظر التفاصيل في : الفن الحربي في صدر الإسلام (١٥٤ ـ ١٥٥) .



(شكل ٦)



(شكل ٧)

العادية ، بحيث يكون النصـــل مدبباً من ناحية ، ومن الناحية الأخرى رقيقاً مشحوذاً كالسكين .

وللاطــلاع عليهما انظر (الشكل رقم ٧) .

[٥] الأسلحــــة الجماعيـــة القديمـــة[١٨] :

(أ) المنجنيق والعَـــرَّادة :

هذا السلاح شديد النكاية بالأعداء ، بعيد الأثر في قتالهم ، فبحجارته تُهدم الحصون والأبراج ، وبقنابله تُحرق الدور والمعسكرات ، وهو يشبه سلاح المدفعية الحديثة .

والعَرَّادة آلة من آلات الحرب القديمة ، وهي منجنيق صغير .

وقد كان الإنسان أول مرة يحارب بالحجر يرميه بيده ، ثم اتخذ المقلاع بعد ذلك لتكون رميته بعيدة قوية ، ثم فكر في طريقة لرمي حجارة أكبـر ولهـدف أبعـد ، فهـداه تفكيـره إلى المنجنيق ، واتخـذه أولًا على هيئـة (الشّــادوف) الذي يسقي به قسم من الفلاحين زرعهم ، وهو عبارة عن رافعـــة ، محور الارتكاز فيها في الوسط ، والقوة في ناحية والمقاومة في أخرى ، على أن يكون ثقل الحجارة هو المحرك له ، بحيث إذا هوى الثقل ارتفع الشيء المرمى في كفّته .

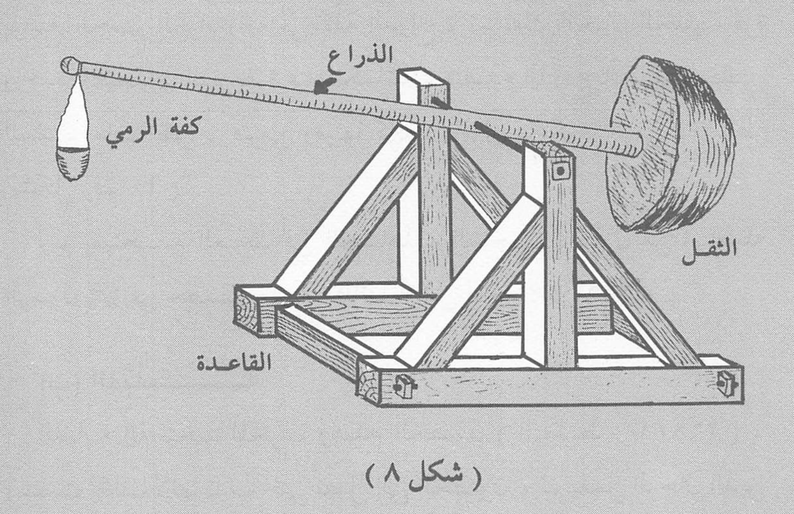
وقد جعل في أول أمره على شكل قاعدة من الخشب السميك ، مربعة أو مستطيلة ، يرتفع في وسطها عمود خشبي قوي ، ثم يُركّب في أعلاه ذراع

(١٨) المصدر نفســه (١٥٦ ـ ١٧٤) .

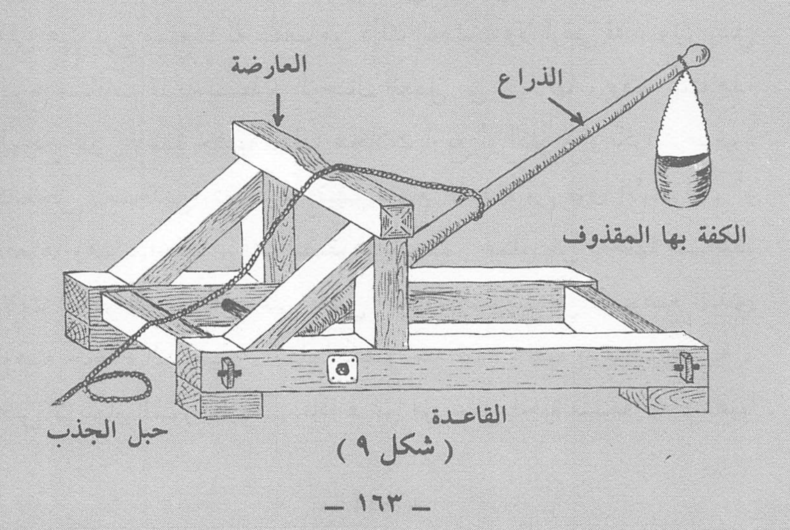
المنجنيق قـابلاً للحـركة كـذراع الشَّـادوف ، بحيث يكون ربعـه تقريبـاً للأسفل ، يتدلى منه صندوق خشبي ، مملوء بالرصاص والحجارة والحديد أو نحوها ، ويختلف حجمه باختلاف المنجنيق ، وتكون ثلاثة أرباع الذراع للأعلى ، تتدلى من نهايتها شبكة مصنوعة من حبال قوية ، يـوضع فيهـا الحجر المراد قذفه ، وعند القذف به يُجذب أعلى الذراع إلى الأرض بقوة الرجال ، فيرتفع الثقل المقابل من الحجارة والـرصاص والحـديد الـذي بالصندوق ، ثم تترك الذراع فجأة فيهوي الثقـل ، ويرتفـع أعلى الذراع بـالشبكة قـاذفاً مـا فيها من الحجـارة إلى الهدف المعين (انـظر الشكـل رقم ٨) .

وبمرور الزمن ، شمل التحسين هذا السلاح ، فصار يُصنع من القاعدة المتقدمة نفسها ، وفوقها قاعدة أخرى على شكل مربـع ناقص ضلع من أسفل ، ثم تركب ذراع المنجنيق في وسط السَّطح العلوي لهذه القاعدة ، بحيث تكون قابلة للحـركة ، وبحيث يكـون ثقل الـرصاص في النـاحية القصيرة السُّفلى ، ثم يسحب الذراع كما سبق ذكره وتترك فجأة فيهـوي الثقل بشدة ، وتصدم الذراع بالعارضة السفلى في المربع ، فتقذف الشبكة ما فيها بشدة ، لاصطدام الذِّراع بالحائط الخشبي (انظر الشكل رقم ٩) .

وبعد أن شاع استعمال هذا السِّـلاح ، لحقه كثير من التطوير ، فعُرف منه نوع قوي يعمل بقوة الأوتار ، وهو عبارة عن قاعدة مصنوعة من كتـل خشبية ضخمة ، تجر بقوة الرجال على الزّحافات أو العجلات الصغيرة ، وقد ارتفعت القاعدة من ناحية على شكل جدار خشبي ، وثُبِّت الذراع في أسفل القاعدة القابلة للحركة ، وخلفها وَتَر قوي مُستعرَض يمنـع سحبها للخلف ، بينمـا ربطت بحبـال مثبتّة إلى مؤخـرة القـاعـدة تجـذبهـا إلى الخلف ، وعند الرمي يلفّ الرجال العمود الخشبي المربوط به الذِّراع ،


الذراع
كفة الرمي
الثقل
القاعدة

(شكل ٨)


العارضة
الذراع
الكفة بها المقذوف
القاعدة
حبل الجذب

(شكل ٩)

فتُجذب الذِّراع إلى الخلف ، فيمتد الوتر الذي خلفهـا إلى نهايتـه ، ثم يوضع الجسم المراد رميه في كفَّة الذِّراع ، ثم تفك الحبال الخلفيـة مرة واحدة ، فيجذبها الوتر بقوة عند انكماشه ، فتصدم الذراع بالحائط الخشبي المثبت أمامها بقوة ، فترمي رميتها كأبعد وأقوى ما يكون الرمي . (انظر الشكل رقم ١٠) .

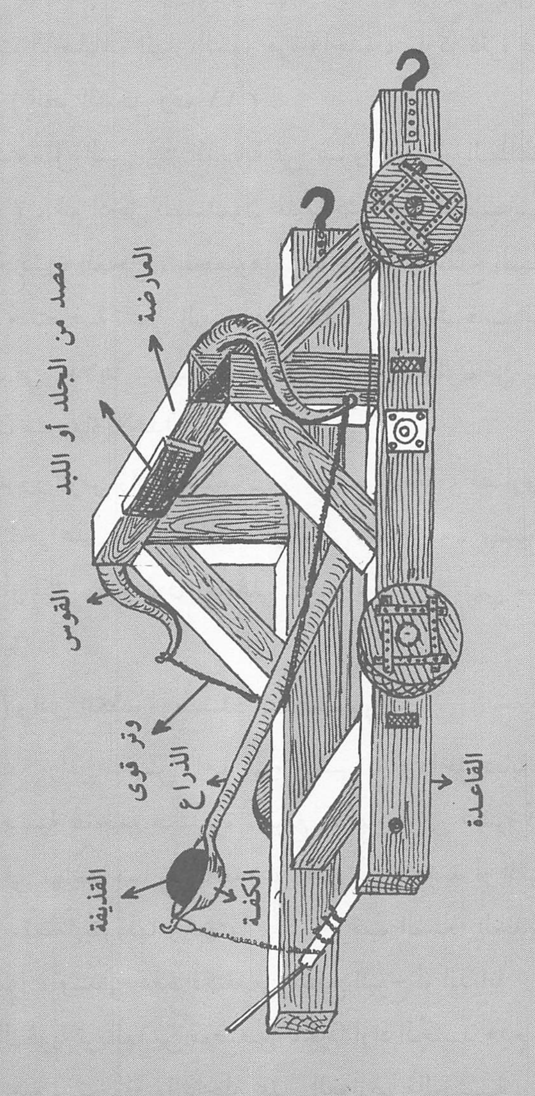
ولم يستخـدم العـرب في الجـاهليـة المنجنيق ، وأول من استعمله الرسول ﷺ في حصـار مدينة الطائف (ابن الأثير : ٢/٢٦٦) .

(ب) الدبَّابـــــة :

الدبابـة آلة تتخـذ للحرب وهـدم الحصون (الـوسيط : ١/٢٦٨) ، وسميت بذلك لأنها تدب حتى تصل إلى الحصون ، ثم يعمل الرجال الذين بداخلها في ثقب أسوارها بالآلات التي تحفر .

والضَّـبْرُ هي الدبابة تتخذ من خشبٍ يغشّى بالجلد ، يحتمي بها الرجال ويتقدمون بها إلى الحصون لدق جدرانها ونقبها (الوسيط : ١/٥٣٣) .

وكانت الدبابة أول الأمر عبارة عن هودج مصنوع من كتل خشبية صلبة ، على هيئة برج مربع ، له سقف من ذلك الخشب ولا أرض له ، وبين كتل البرج مسافات قليلة يستطيع الرجـال العمل من خـلالها ، وقـد ثُبِّت هذا الهودج على قاعدة خشبية ، لها عجلات أربع أو أكثر ، أو بكرات صغيرة كالعَجَل ، متخذين منها درعاً يقيهم سهام الأعداء من فوق الأسـوار ، أو دفعوها وهم بداخلها ، فإذا ألصقوها بالسُّـور عملوا من داخلها بمساعدة آلات الحفر الحديدية ، على نقض حجارة السور ، من المـوضع الـذي أوهنته حجارة المنجنيق ، وكلما نقضوا منه قدراً علَّقوه بدعـائم خشبية ، حتى لا ينهار السور عليهم . فإذا فرغوا من عمل فجوة متسعة فيه ، دهنوا


مصد من الجلد أو اللبد
العارضة
القوس
وتر قوي
الذراع
الكفة
القذيفة
القاعدة

(شكل ١٠)

الأخشاب بالنفط ، ثم أشعلوا فيها النار ، وانسحبوا إلى الدبابة ، فإذا احترقت الأخشاب انهار السور مرة واحدة ، تاركاً ثغرة صالحة للاقتحام منها . (انظر الشكل رقم ١١) .

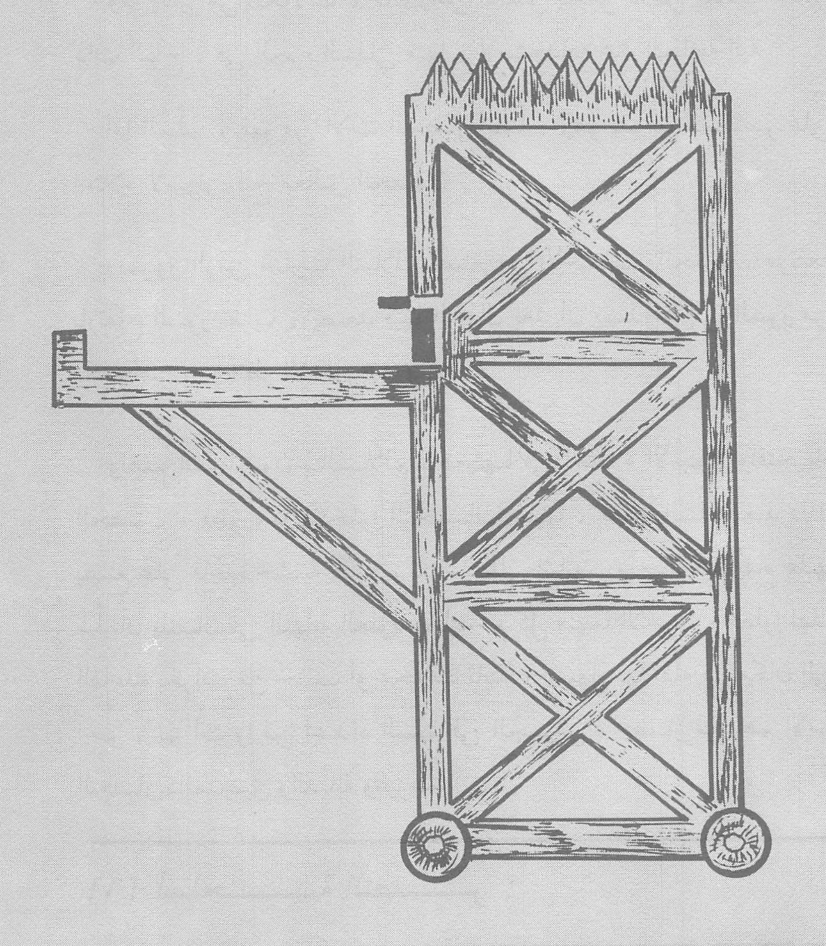
واستعمل النبي ﷺ الدبابة في غزوة حصار الطائف (الطبري : ٨٤/٣) ، ثم أدخل المسلمون عليها كثيراً من التحسينات ، حتى صارت ضخمة كثيرة العجل ، فجعلوها برجاً مرتفعاً بارتفاع السور ، وبداخلها سلالم مستعرضة تنتهي إلى شرفات فيها ، تقابل شرفات الحصن ، فيصعد الرجال في أعلاها ، ويستعلون على السور وينتقلون من شرفاتها إليه ، ثم يطردون منه رماة الأعداء .

وبمرور الزمن زاد المسلمون من حجم الدبابة ، فصاروا يصنعونها كبيرة بحيث تجر على ست عجلات أو ثماني عجلات ، وتتسع الواحدة لعشرة رجال أو أكثر ، يعملون بها على نقب السُّور ، فهي سلاح يتعاون مع المنجنيق .

(ج) رأس الكَبْش وسُلّم الحصار :

يُحمل رأس الكبش داخل برج خشبي ، أو داخل دبابة ، وهي عبارة عن كتلة خشبية ضخمة مستديرة ، يبلغ طولها حوالي عشرة أمتار أو أكثر ، قد رُكِّب في نهايتها مما يلي العدو ، رأس من الحديد أو الفولاذ ، تشبه رأس الكبش تماماً بقرونها وجبهتها ، كما يركب السنان الحديدي على الرمح الخشبي ، وتتدلى هذه الكتلة من سطح البرج أو الدبابة ، محمولة بسلاسل أو حبال قوية تربطها من موضعين ، فإذا أراد الجُند هدم سور أو باب قرَّبوا البرج منه ، ثم وقفوا داخله على العوارض الخشبية ، ثم يأخذون في أرجحة رأس الكبش للخلف والأمام ، وهو معلق بالسلاسل ، ويصدمون به

الدبابـــة



(شكل ١١)

السور عدة مرات ، حتى تنهار حجارته ، فيعملون على نقبه وهدمه . (انظر الشكل ١٢) .

وفي كثير من الحالات ، كان رأس الكبش يُحمل داخل الدبابة الكبيرة ذات البرج ، في الجزء السفلي منها ، لاستخدامه عند الحاجة إليه .

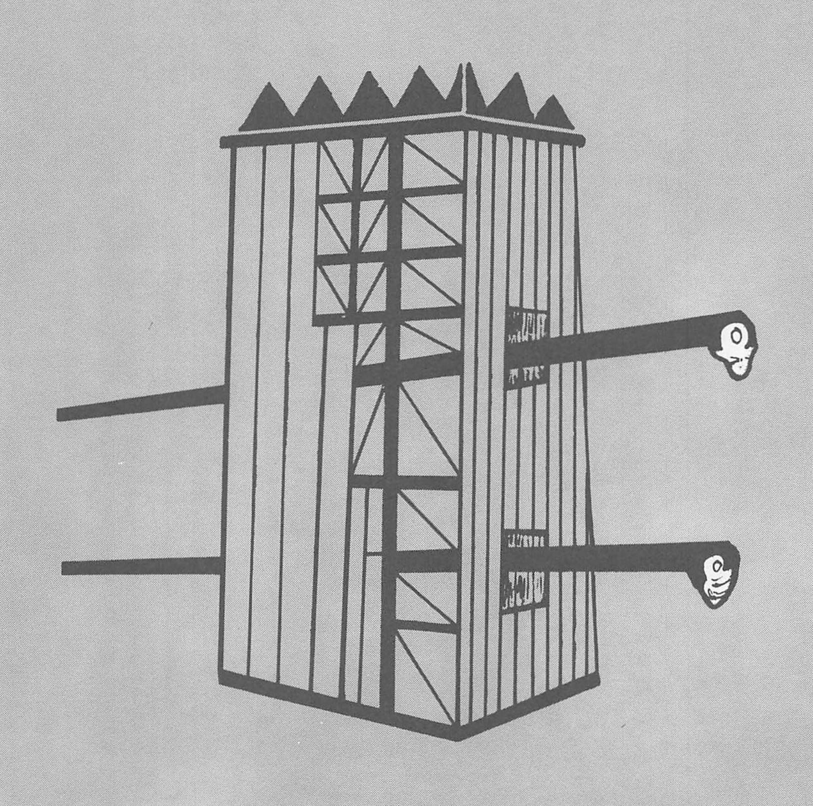
أما السُلَّم ، فهو من آلات الحصار أيضاً ، وهو يساعد المحاصِر على اعتلاء الأسوار وفتح مغاليق الحصون .

وبمرور الزمن صارت السلالم تصنع من الأخشاب والحديد ، مرتفعة بارتفاع السور تقريباً ، يصعد فيها الرجال بعد أن يسندوها إلى السور من مكان أمين . (انظر الشكل ١٣) .

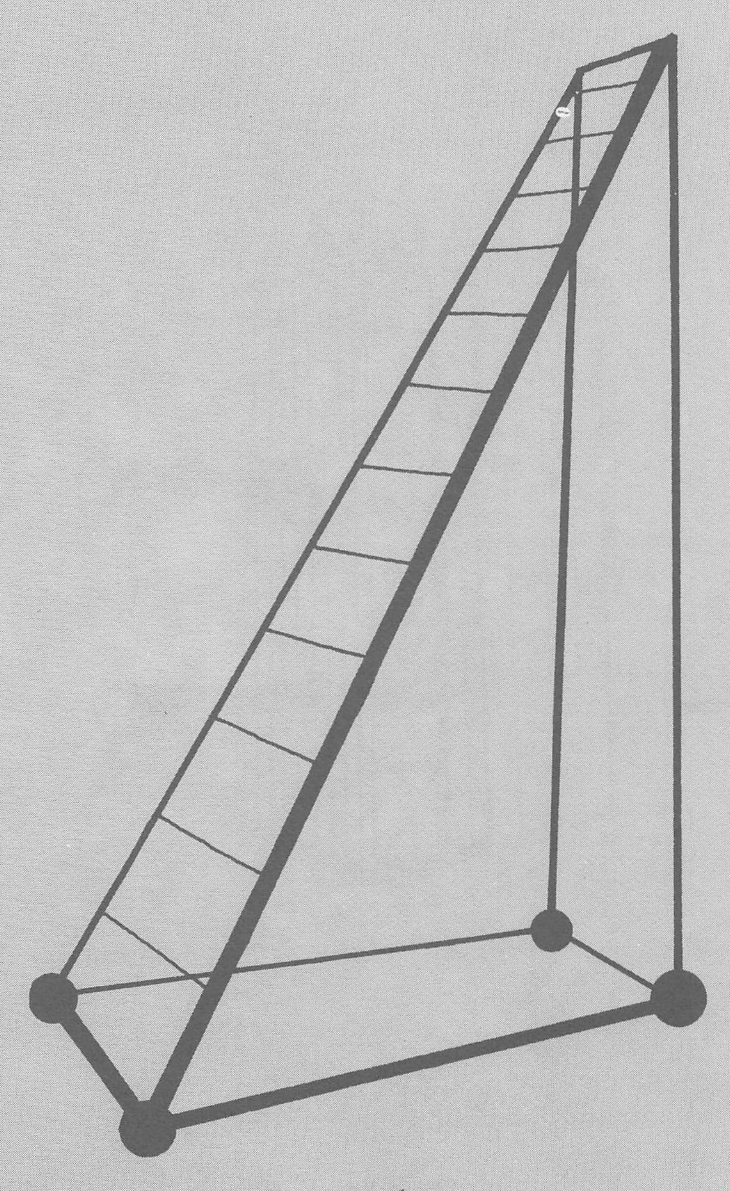
واهتم المسلمون بالسلالم لأهميتها في اعتلاء الأسوار واقتحام الحصون ، فطوروها وأدخلوا التحسينات عليها ، فصار السلم بعد ذلك يصنع على قاعدة خشبية كبيرة ، تساعد على إثباته . وأحياناً كان يُقام عليها سُلَّمان يلتقيان في النهاية العلوية ، ليدْعم كل منهما الآخر ، وجعلوا لهذه القاعدة بكرات من خشب أو عجلات ثابتة ، ليسهل بها نقله من مكان إلى آخر ، ثم أكثروا من أعداد السلَّم في الجيوش ، وصار من أهم آلات الحصار كالمنجنيق والدبابة وغيرهما .

[٦٦] أسلحة النصر :

لم يبق للأسلحة العربية الإسلامية القديمة من أثر في الحروب



(شكل ١٢)



(شكل ١٣)

الحاضرة ، فقد تخطاها الزمن إلى أسلحة تضاعف الخسائر وتطيل أمد الحرب وتلحق الويلات بالغالب والمغلوب .

ولكن هذه الأسلحة القديمة تبقى بالنسبة للعرب والمسلمين أسلحة النصر التي تذكرهم بماضيهم المجيد .

ولا تزال قسم من الأمم الحديثة ، تحتفظ في متاحف السلاح ، بكامل أسلحتها القديمة على اختلاف أنواعها ، تذكرها بتاريخها الحربي ، وقد أحسنت قسم من الدول العربية صنعاً بإنشاء متاحف لأسلحتها القديمة ، فأصبحت تلك المتاحف مصدراً للدارسين وعبرة للمعتبرين .

إن معرفة الماضي هي وحدها تطوِّع لنا تصور المستقبل وتوجِّه جهودنا إلى الغاية الجديرة بتراثنا العظيم ، فالماضي والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل إلى انفصامها ، ومعرفة الماضي هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر ولمعرفة المستقبل .

والسلاح العربي الإسلامي جزء لا يتجزأ من العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخاً ، ولغة وسلاحاً ، وهذه العسكرية هي (روح) انتصاراتنا وفخر تاريخنا ، فلابد من دراسة تلك الأسلحة ومعرفة أنواعها وأساليب استخدامها وتأثيرها المباشر في الحرب ، فذلك يوضِّح المعارك العربية والإسلامية ويقربها إلى الأفهام .

وقد دأب المؤرخون القدامى المعتمدون على السكوت عن وصف خواص الأسلحة وكيفية عملها في المعركة ، وخاصة الأسلحة الجماعية كالمنجنيق والدبابة مثلاً ، وسكوتهم قد يكون سببه معرفتهم الكاملة

لخواصها وتشغيلها لأنها كانت معروفة يومئذٍ . . أما اليـــوم فقد اختلف الأمر ، فأصبح ما كان معروفاً قبل قرون غير معروف اليوم ، فلابد من السعي الحثيث لتعريف خواص الأسلحة وآليتها ، بدراســة كتب الأسلحة القديمة ونشرها ، وبدراسة الأسلحة المتيسرة في المعارض والمتاحف العربية والأجنبية ، فنضيف دراســة عسكرية للأسلحة العربية الإسلامية القديمة تفيدنا كثيراً في دراساتنا التاريخية وفي إعادة كتابة المعارك العسكرية العربية الإسلامية .

الخاتمة

القادرون على إعادة كتابة العسكرية الاسلامية

[١] الأهـــــداف :

كان عبد العزيز فهمي (باشا) يؤمن : « أن تحسين الكتابة العربية لا يتأتى مطلقاً إلا بتغيير الحروف التي تكتب بها واتخاذ الحروف اللاتينية ، وبذلك نتمكن من الكتابة ومن النطق صحيحين » ، وكان يتحدث بهذا الرأي ويبشِّر به ، وأخيراً تقدم بهذا الرأي إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٤٣م) (مجلة مجمع فؤاد

الأول للغة العربية ، ١٩٥١م ، ١٨/٦) ونشره في رسالته : (رسالة في اقتراح الحروف اللاتينية لكتابة العربية) ، فاستنكر الرأي العام العربي والإسلامي هذا الرأي واستهجنه ، فمات في مهده غير مأسوف عليه .

وكان ممن استنكر هذا الرأي الشيخ عبد العزيز البشري (المتوفى سنة ١٩٤٣م ، وقد كان يعمل مراقباً إدارياً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة) ، المعروف بنوادره وفكاهته ، فقال لعبد العزيز فهمي : **« ماذا تريد بإدخال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية ؟! » ، فردَّ عليه : « أريد أن أعمِّمها » ، فأجابه فوراً : « تريد أن تُبَرْنِطها والله لا أن تُعَمِّمها ! »** ، فذهب جواب البشري عليه رحمة الله مثلاً ، وأضحك الذين سمعوه في حينه ، ولا يزال يضحك مَنْ يسمعه حتى اليوم .

وبالطبع أراد عبد العزيز فهمي : « أريد أن أعمِّمها » ، أي أن أجعلها أكثر انتشاراً في العالم ، فتظاهر الشيخ البشري بأنه فهم من هذا التعبير ، أنه يريد أن ترتدي العمامة ، فرد عليه : إنك تريدها أن ترتدي (البرنيطة) لا (العمامة) ..

وقد أوردت هذه الحادثة في هذا المجال ، لأنني أتذكرها كثيراً ، حين أقرأ ما يكتبه قسم من الذين يعيدون كتابة العسكرية الإسلامية : عقيدة وتاريخاً ، وقادة وتراثاً ، ولغة وسلاحاً ، فأجد أنهم يمسخون هذه العسكرية مسخاً ، إما لجهلهم المطبق ، وإما لأن أفكارهم ملوَّثة بالاستعمار الفكري البغيض ، أو لأنهم جهلاء وملوثون أيضاً . . ظلمات بعضها فوق بعض ، أو لأنهم يكرهون العرب والمسلمين ويعادون كل ما يتصل بهم من قريب أو بعيد .

ولست أشك في حسن نية بعض الذين يعيدون كتابة العسكرية الإسلامية

من العرب والمسلمين ، وأغلبهم يقصدون خدمة هذه العسكرية خدمة صادقة أو يريدون إبراز مزاياها وعبقريتها ، فيجعلون منها عسكرية غربية أو شرقية ، وبذلك (يبرنطونها) ، وهي في حقيقتها لا شرقية ولا غربية ، بل هي عربية إسلامية ، فما نريد من الذين يُعيدون كتابة العسكرية الإسلامية إلا أن يحافظوا على أصالتها عربية إسلامية ، وألا يمسخوها شرقية أو غربية ، لأن ذلك يناقض الواقع ، ويخالف التاريخ ، ويجعلها ذنباً للعسكرية الأجنبية ، ولا يبقيها رأساً عالياً من الرؤوس العالية .

والعقيدة العسكرية الإسلامية ، جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية التي نزل بها الكتاب العزيز ، وجاءت بها السنة النبوية المطهرة ، فلا ينبغي التلاعب بمبادئها لتوافق العقائد العسكرية الأجنبية لسبب أو لآخر ، فذلك تحريف لا يقره الواقع ولا يرتضيه العقل السليم ، ويخالف نصوص الكتاب والسنة .

أما الجزء الذي لم يرد فيه نص في الكتاب والسنة ، أو ورد فيه نص اختلف الفقهاء في تفسيره ، فلابد من العودة إلى أقوال الفقهاء المجتهدين في الدين من الأئمة ، وموازنة آرائهم والأخذ بالأصلح للأمة زماناً ومكاناً .

والمعارك العسكرية الإسلامية ، هي التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية ، فينبغي عند إعادة كتابتها ألا نبدِّل أو نحوِّر شيئاً من حقائقها التاريخية ، بل نكتفي بنقل الوقائع كما حدثت فعلاً بأسلوب عصري حديث ، لاستخلاص الدروس والعبر التي تفيد العرب في حاضرهم ومستقبلهم .

أما أن نحرِّفها لنجعل منها معارك تشابه المعارك الحديثة ، فليس مقبولاً بأي عذر من الأعذار ، ولأي سبب من الأسباب .

وكتابة قصة حياة قادة العرب والمسلمين ، ينبغي أن يطابق واقعهم الحقيقي رجالاً أدُّوا دورهم القيادي في زمانهم ، لا أن نحاول إبقاء أسمائهم وتحوير سيرة حياتهم ، حتى نقارن بينهم وبين قادة الأجانب ونفخر بهذه المقارنة ، فذلك هدم لقادة العرب والمسلمين ، لأنه تشويه للحقائق وتزوير للتاريخ وتزييف للواقع .

ودراســـة التراث العربي الإسلامي ، ينبغي أن يُنشر محقَّقاً كما هو لا كما نشتهي أن يكون ، فالحق أحق أن يُتَّبع ، والحقيقة أولى بالتحقيق ، وإلا فما نشرنا تراثاً أصيلاً ، بل زورنا تراثاً غير أصيل .

ووصف الأسلحة العربية الإسلامية وصفاً حقيقياً واقعياً ، وإبراز أثرها العملي في القتال ، أهم وأجدى من اختراع أوصاف لها غريبة عنها وعن الذين استخدموها في الحرب ، وانتصروا على أعدائهم بها .

أما اللغة العسكرية العربية ، واللغات العسكرية الإسلامية ، فينبغي تطهير مفرداتها من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية الدخيلة ، وألا تُستعمل المصطلحات العسكرية الأجنبية بمناسبة وبغير مناسبة بحجة أنها شائعة أو مشهورة ، لأن لغة القرآن الكريم لا تعجز عن استيعاب المصطلحات العسكرية الحديثة ، ولغة الكتاب العزيز أحق بالحرص على سلامتها والاعتزاز بها من اللغات الأجنبية الأخرى .

ذلك ما كنت أبغي من إثارة موضوع إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ، وهدفي من إثارته ما وجدته من انحراف واضح في كتابة قسم من أقسام هذه العسكرية ، وأملي الوطيد بإيقاف هذا الانحراف عند حدِّه قبل أن يصبح تياراً جارفاً لا يُبقي ولا يذر ، وحرصي على إعادة كتابة العسكرية الإسلامية

بأقسامها كافة ، بأيدٍ أمينة لا غبار عليها ، والعمل بها في المؤسسات العسكرية التدريبية والتعليمية ، والالتزام بها في القوات المسلحة العربية الإسلامية نصاً وروحاً ، لتقود العرب والمسلمين إلى النصر بإذن الله ، هو من أهم أهدافي الحيوية التي آمُل أن يوفقني الله على تحقيقها بمعاونة العرب والمسلمين ، والتي عشت من أجل تحقيقها كل حياتي العسكرية والعلميــة .

[٢] التيـــارات المريبـــــــة :

(أ) لابد لنا من معرفة أبرز التيارات المريبة التي تبذل قصارى جهدها في هدم الفكر العربي الإسلامي ، لكي نستطيع أن نتبين القادرين حقاً على إعادة كتابة الحضارة العربية الإسلامية ، ومنها العسكرية الإسلامية .

والهدف الرئيس لهذه التيارات الفكرية المريبة : تلويث الفكر العربي الإسلامي ، وانتزاع ثقة العرب والمسلمين بحضارتهم العريقة وماضي أمتهم العربية الإسلامية المجيد ، لتنهار معنوياتهم فلا يستطيعون الحرب والقتال ، ويستسلمون استسلاماً كاملاً للأعداء .

(ب) فمن هذه التيارات ، التيار الاستعماري الصهيوني الماسوني ، الذي يقلب الحقائق رأساً على عقب ، أو يعللها تعليلاً منحرفاً يصور فيه أمجاد العرب والمسلمين ، وكأنها أشياء تافهة لا قيمة لها ولا تستحق الذكر أو الفخر .

والذي يتصيد (المثالب) ويضخمها ، ويبرز معالمها ويعمِّق آثارها ،

ويغض الطرف عن (المزايا) أو يهون عمداً من قيمتها الحقيقية .

وأُطلِق على هؤلاء لقب : (الجُعَلِيُّون) ، نسبة إلى دابَّة الأرض التي تسمى : (الجُعَل) ، وهي دابة لا تستريح إلا في المواضع الندية القذرة ذات الرائحـــة الكريهة ، فإذا وضعت في الأماكن الجافة النظيفة ذات الرائحة الطيبة الذكية ، ماتت فوراً .

ويتألف هؤلاء من المستشرقين المغرضين الحاقدين على العرب والمسلمين ، وطلابهم من المستغربين الذين حذوا حذوَ المستشرقين المغرضين الحاقدين ، وتلوثت عقولهم بما كتبه أساتذتهم فنقلوها إلى العربية نقلاً وادَّعوه لأنفسهم كذباً وزوراً .

(ج) ومن هذه التيارات ، التيار الصليبي ، الذي يحاول أن يعزو كل مفاخر العرب والمسلمين في الفتوح والحضارة والعلوم والفلسفة والفنون إلى النصارىٰ ، فالنصارى عاونوا في الفتح الإسلامي العظيم ، وهم الذين نقلوا العلوم والفنون والفلسفة من اللغات الأجنبية إلى العربية وحدهم دون سواهم من الناس .

ولا ينكر التاريخ العربي الإسلامي عليهم حقَّهم ولا حق غيرهم ، ولكن إبراز ذلك الحق وجعله كل شيء ، ينكره كل مؤرخ منصف ، ويستنكره أيضاً .

وأُطلِق على هؤلاء لقب : (الصليبيون) نسبة إلى الحروب الصليبية التي كانت لخدمة الاستعمار لا لخدمة المسيح عليه السلام .

(د) ومن هذه التيارات ، التيار الشـــيوعي ، من أصحاب الولاء

المزدوج : الولاء الأول للأجنبي ، والولاء الثاني لوطنهم الأصلي ، فإذا تناقض الولاءان كانت الأسبقية في التفضيل للولاء الأجنبي .

وهؤلاء يجعلون من كل مفخرة عربية إسلامية (إنجازاً) ، اشتراكياً ، فالفتح الإسلامي (مثلاً) كان لأسباب اقتصادية ، وكل شخصية إسلامية تحدب على الفقراء شخصية اشتراكية ، دون أن يفقهوا أن هذا الحدب قد جعله الله (حقاً) للفقراء على الأغنياء ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج : ٢٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات : ١٩) ، وهذا ما لا يحلمون به ولا يطمعون أن تحظى به شعوبهم المغلوبة على أمرها ، فالنبي ﷺ في زعم هؤلاء المنحرفين (يساريّ) ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه (وسط) ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه (يساري) ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه (يميني) ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (يساري) ، إلى غير ذلك من المهازل التي يرفضها العقل ، ويدحضها المنطق ، ويكذبها التاريخ ، ويأباها الدين الحنيف !!

وأُطلق على هؤلاء لقب : (القَصَّابِيُّون) نسبة إلى القصاب الذي ذبح الرجال وسحلهم ، وخرَّب البيوت ونهبها ، وروَّع الآمنين وانتهك الحرمات ، باسم الحرية والتقدمية والاشتراكية ، وهو لا يفقه من كل هذه المُثُل شيئاً (جرى ذلك في مدينة الموصل سنة ١٩٥٩م) .

(هـ) ومن هذه التيارات **التيار الجاهلي** ، الذي يحاول أن يعزو كل أثر للإسلام وتعاليمه ورجاله للعرب ، والغرض من هذا الاتجاه هو تجميد أثر الإسلام في الفتح والحضارة ، فظاهره حب للعرب ، وباطنه كره للإسلام .

ولا أشك في أن الأمة العربية أمة مجيدة ، ولا يكره العربَ مسلم حق سواء أكان عربياً أو غير عربي ، ولأنني عربي فلا أكره أن أسمع على قومي أطيب الثناء .

ولكن الواقع شيء ، والاختلاق شيء آخر .

ولست أعرف ديناً سماوياً ، ولا عقيدة أرضية ، كرَّمت العرب أُمة وأفراداً ، كما كرمها الإسلام .

يكفي أن يكون النبي ﷺ عربياً ويكفي أن يكون القرآن عربياً ، ويكفي أن يكون الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون عرباً .

ويكفي أن يكون كل قادة الفتح الإسلامي وجنوده (تقريباً) من العرب .

وقد وردت إحدى وأربعون آية كريمة في سور مختلفة من سُور القرآن الكريم عن العرب بالذات . (تفصيل آيات القرآن الكريم : ٥٦٦ - ٥٧١) .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يكره العرب إلا منافق » (رواه الإمام أحمد) ، كما جاء في فضل العرب كثير من الأحاديث النبوية ترويها كتب السُّـنة ، منها : « إذا ذلَّ العرب ذل الإسلام »[19] ، ومنها : « حُب العرب إيمان وبغضهم نفاق »[20] ، ومنهـا : « أحبوا العرب لثلاث : لأني

---

(١٩) رواه ابو يعلى في مسنده . وذل العرب : ضعف امرها ، وذل الإسلام : ذلّ اهله . شرح الجامع الصغير للمناوي(١/ ٤٠) .

(٢٠) رواه الحاكم ، انظر ايضاً مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٥٠) ، ورواه الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه .

عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي »[٢١] ، ومنهـا : « ألاَ مَنْ أحب العرب فبحُبي أحبَّهم ، ومَنْ أبغض العرب فيبغضي أبغضهم » (رواه الطبراني) .

وقال الإمام ابن تيمية : « إن العرب أفضل من جنس العجم » ، وقال : « الأحاديث الواردة في فضل قريش كثيرة ، وهي تدل على فضـل العرب »[٢٢] .

ولم يقبل النبي ﷺ الجزية من عرب الجزيرة العربية ، وهذا خلاف الحكم على غيرهم (الخراج لأبي يوسف : ٧٠) .

وقد ضاعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصدقة على نصارى بني تَغْلِب وأسقط عنهم الجزية[٢٣] ، تكريماً للعرب .

وحتى الفقهاء أعطوا للعرب مكانتهم التي يستحقونها شرعاً ، ففي بيان ما تعتبر فيه الكفاءة في قضايا الزواج ، ذكروا أشياء منها : النسب ، فقالوا : « والعرب بعضهم أكفاء لبعض : رجل برجل ، والموالي أكفاء بعضهم لبعض : رجل برجل ، لأن التفاخر والتعيير يقعان بالأنساب » ولا تكون الموالي أكفاء للعرب ، لفضل العرب على العجم »[٢٤] .

وقال السرخسي : « العرب بعضهم أكفاء لبعض ، فإن فضيلة العرب

---

(٢١) رواه الحاكم والطبراني والبيهقي ، وانظر ايضاً مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ١٧) ، وذكر انه حديث صحيح .
(٢٢) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٤٥ ـ ٣٤٩) .
(٢٣) (الخراج : ١٤٣) .
(٢٤) البدائع ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٢٤هـ ـ (٢/ ٣١٩) .

بكون رسول الله ﷺ منهم ، ونزول القرآن بلغتهم ، قال رسول الله ﷺ : « حب العرب من الإيمان » ، وقال لسلمان الفارسي : « لا تبغضني ! قال : وكيف أبغضك وقد هداني الله بك ؟! قال : تبغض العرب فتبغضني » (المبسوط : ٥/٤٤) .

ولو أردنا أن نستقصي كل ما جاء في فضل العرب من أقوال أئمة المسلمين ، لجئنا بأقوال لا تُعَدُّ ولا تحصى . (انظر خاتمة كتابنا : قادة فتح الشام ومصر) .

ولا أظن أن هناك عربياً واحداً ، مسلماً كان أو نصرانياً ، مخلصاً (حقاً) لقومه العرب ، يرفض الإسلام ويتنكر لأثره العظيم في العرب ، إلا إذا كان جاهلاً كل الجهل ، أو صليبياً أو صهيونياً يكره الإسلام ويحاربه ، أو عميلاً للاستعمار والصهيونية وأعداء العرب والمسلمين ، أو مغرَّراً به كل التغرير .

وأُطلِق على هؤلاء لقب : (الجاهليون) ، نسبة إلى الجاهلية في عصبيتها القبلية وشركها وتخبطها وكرهها للإسلام ، وهذا هو معنى الجاهلية : جهالة وضلالة ، والحالة التي تكون عليها الأمة قبل أن يجيئها الهدى والنبوة .

(و) ومن هذه التيارات ، التيار الشعوبي ، وهو المفضل أمر العجم على العرب ، والمصغِّر أمر العرب ، والمحاول الحط منهم (متن اللغة : ٣/٣٢٨) ، وهو مفرد الشعوبية ، وكانت نزعة في العصر العباسي تنكرت للعرب أي تنكر وعادتهم أي عداء .

وهؤلاء يقللون من شأن العرب ، ويغمطون حقوقهم ، ويحطون من أقدارهم ، وينكرون عليهم كل فضل ، ويتنكرون لهم بالتظاهر بالإخلاص للإسلام والدِّفاع عنه .

ولا يمكن أن يحب المرء الإسلام ويخلص له ويتمسك بتعاليمه ويلتزم به ، ثم يكره العرب الذين هم مادة الإسلام ، فيتنكر لهم وينكر فضلهم ، ويقلل من شأنهم ويغمط حقهم في أمجاد المسلمين حضارة وفتحاً .

إن العرب جسد ، روحه الإسلام ، والجسد بدون روح فناء ، والجسد بالروح بقاء .

وأُطلِق على هؤلاء لقب : (الشُّعوبيون) ، ولا يكره العرب إلا منافق ، كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام .

(ز) إن كل عربي ومسلم ، لا يأتمن الجُعَلِيِّين والصليبيين والقصابين والجاهليين والشعوبيين على إعادة كتابة العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخاً ، وقادة وتراثاً ، ولغة وسلاحاً ، فهؤلاء الحاقدون والمبغضون والمنحرفون والمرتدون والمنافقون يمسخون العسكرية الإسلامية ، ويشوهون معالمها ، ويزيفون أحداثها ، ويدسون فيها ويفترون عليها ويشككون بها باسم البحث العلمي والموضوعية والنقد وشعارات زائفة أخرى ، وكل هذه الشعارات منهم براء .

إن كل عربي مسلم ، لا يأتمن على إعادة كتابة العسكرية الإسلامية غير العربي الأصيل والمسلم الحق ، فهؤلاء وحدهم يعيدون كتابتها بأسلوب العصر ، وينقونها من الشوائب التي علقت بها عبر القرون .

ولكن هذا القول وحده ، لا يُغني عن كل قول .

---

[٣] العلماء القادرون :

(أ) إن القادرين على إعادة كتابة العسكرية الإسلامية كثيرون من علماء العرب والمسلمين وقليلون من الضباط .

وهذا العصر أصبح عصر ذوي الاختصاص بالدرجة الأولى ، والضباط وحدهم هم القادرون بحق على النهوض بهذه المهمة الصعبة الشاقة ذات المجالات المتشعبة الواسعة ، التي تحتاج إلى الصبر الجميل والدأب المتواصل ، والسهر المستمر ، والحرص الشديد ، والاختصاص والتفرغ الكامل .

ومن المهم جداً ، أن يعاون الضباط علماء من ذوي الاختصاص ، كل حسب اختصاصه ، لأن الضباط يستطيعون تفهم العسكرية الإسلامية بأقسامها بشكل أفضل من غيرهم ، لعلاقة العسكرية الإسلامية بعملهم المباشر ضباطاً في الجيش ، ولكن ليس كل ضابط قادراً على النهوض بمثل هذا الواجب الحيوي العظيم .

إن الضابط الذي يستطيع أن ينتج في مجال العسكرية الإسلامية إنتاجاً سوياً ، لابد من أن يكون عالماً في فنه العسكري ، مجرِّباً تجارب طويلة ومثمرة في العمليات القتالية والأمور الإدارية ، متقناً للغة العربية إتقاناً جيداً ، نظيفاً في عقله لا يعاني داء الاستعمار الفكري ، ليس مبهوراً بالعقائد العسكرية الأجنبية ، سليماً في عقيدته الإسلامية ، يعرف قيمة المعارك الإسلامية وأقدار القادة المسلمين ، خبيراً بالمصادر العربية الإسلامية المعتمدة وبالمصادر الأجنبية الموثوق بها ، يعتبر العلم عبادة من أجلِّ العبادات لا تجارة من أربح التجارات ، ويرى في جهده مهما يكن شاقاً وطويلاً جهاداً خالصاً لوجه الله ، مستعداً للتضحية بجهده وماله من أجل إخراج إنتاجه العربي الإسلامي إلى حيز التنفيذ ، دون أن ينتظر من أحد جزاء ولا شكوراً ، وحسبه أجر الله في إخراجه علماً يُنتفع به ، ويبقى أجره متجدِّداً ما بقي المنتفعون به .

والضابط من هذا الطراز نادر جداً ، لأن المستعمر رَبّى الضباط على حب لغة الأجنبي وتعلمها ، وكره العربية الفصحى وجهلها ، ودراسة القادة الأجانب وإغفال القادة العرب والمسلمين ، والانبهار بالعقيدة العسكرية الأجنبية والاحتقار للعقيدة العسكرية العربية الإسلامية ، والتفرغ للكأس والطاس والسهر في الحفلات الترفيهية والنوادي الرخيصة .

فإذا استطاع نفر قليل جداً من الضباط ـ برحمة الله ـ أن يتملصوا من تربية المستعمر ومناهجه التخريبية ، فالفضل لله وحده ، ولولا رحمة الله لما اهتدوا وما استقاموا .

وعلى هؤلاء النفر القليل من الضباط ، يقع واجب قيادة عملية إعادة كتابة العسكرية الإسلامية من جديد .

(ب) ولكن العلمـــاء المدنيين من ذوي الاختصاص ، لهم دور مرموق في إعادة كتابة العسكرية الإسلامية بأسلوب عصري مفيد .

فالعلمـــاء المفسرون والمحدِّثون والفقهاء ، لهم أهمية خاصة في إعادة كتابة العقيدة العسكرية الإسلامية ، خاصة وأن أهم مصادر هذه العقيدة هي : القرآن الكريم ، وكتب الحديث ، وكتب الفقه .

والمؤرخـــون الثقـــات ، لهم أهمية كبيرة في إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية خاصة وأن أهم مصادر هذه المعارك هي : المصادر التاريخية العربية الإسلامية المعتمدة .

والجغرافيون الثقـــات ، لهم دور في إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية ، خاصة وأن أهم مصادر مواقع هذه المعارك هي : المصادر الجغرافية القديمة ، كما أن رسم الخرائط والمخطَّطات ضروري لتوضيح هذه المعارك .

والمؤرخون والجغرافيون الثقـات ، لهم أهمية قصوى في كتابة سِيَر قادة العرب والمسلمين ، لجمع المعلومات الخاصة بهؤلاء القادة من مظانها في المصادر المختلفة ، ورسم الخرائط والمخططات التوضيحية لمعارك القادة .

وتحقيق التراث العربي الإسلامي بحاجة إلى علماء اللغة بالدرجة الأولى ، فهم القادرون على تحقيق هذا التراث ونشره .

والمؤرخون واللغويون والمهندسون لهم أهمية خاصة في تحقيق أنواع الأسلحة العربية الإسلامية وأسلوب عملها واستخدامها ، المؤرخون لتحقيق المعارك التي استعملت فيها ، واللغويون لتحقيق أسمائها وأقسامها في اللغة ، والمهندسون لرسم أشكالها وتفصيل عملها وآليتها .

واللغويون لهم دور عظيم في تطهير اللغة العسكرية من الألفاظ الدخيلة ووضع المصطلحات العسكرية الحديثة .

(ج) ولكن أي صنف من العلمـاء ينبغي أن يكون هؤلاء المرشحون للعمل في إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ؟

لابد أن يكون العالم المرشح متيناً في علمه ، حتى يمكن أن يفيد فائدة كاملة ورصينة ، ولا فائدة من عالم غير متمكن من علمه ، لأنه يضر أكثر مما يفيد ، وانحرافه عن الواقع قد تكون له عواقب وخيمة إلى أبعد الحدود .

وأن يكون عاملاً بعلمه ، فالعلم بدون عمل كالجهل سواء بسواء .

وأن يكون مخلصاً بعمله ، غايته النجاح في عمله ، فإذا انتفع بعمله مادياً فذلك خير ، لا أن تكون غايته الانتفاع مادياً أولاً وقبل كل شيء .

وبهذه المناسبة ، أجد قسماً من الدول العربية الغنية تغدق الأموال الطائلة على العلماء ، أو على المشتغلين بالعلم بتعبير أدق ، لأن العالم حقاً لا يُغرى بالمال .

وأشهد أن إغداق الأموال الطائلة على المشتغلين بالعلم أو تجار العلم ، أفسد العلم ، لأن تجار العلم انتهزوها فرصة للإثراء السريع ، فأخذوا يكتبون أي شيء ويحاضرون بأي كلام ، ليقبضوا الأموال بسرعة ، لأن الكتابة الأصيلة تستغرق وقتاً طويلاً في البحث والتنقيب والإعداد ، لذلك يكتبون أي كلام ليتقاضوا الأجر المادي ، وهذه الكتابة المتهافتة الهزيلة تنجز بسرعة ، ويتقاضى عليها الأجر نفسه الذي يتقاضاه على البحث الأصيل ، بينما يستغرق إعداد البحث الأصيل أضعاف ما يستغرقه البحث الهزيل من وقت ، ولهذا يُؤْثِر البحث الهزيل على البحث الأصيل حباً بالمال ، مما أدى إلى ضعف مستوى الكلمة المكتوبة ، فأصبحنا نشم رائحة المال منها ولا نشم رائحة العلم .

وما يقال عن الكلمة المكتوبة ، يقال عن الكلمة المسموعة .

أما إذا جرى انتداب تجار العلم للنهوض بواجب علمي معين ، فإنهم يستغرقون وقتاً لإنجازه ، هو أضعاف الوقت المناسب لإنجازه ، فهم يعملون من الحبة قُبَّة لكي يقتنصوا أضخم مبلغ ممكن من المال ، ومن المشكوك جداً أن ينجز هؤلاء عملاً علمياً كما ينبغي ، لأنهم تجار وليسوا علماء حتى ولو كانوا علماء حقاً .

وتجار العلم يكتبون ويقولون ما (يحبُّ) أن يسمع دافع الأموال لهم سواء أكان الدافع حكومة أو شعباً ، وهذا ليس علماً بل نفاقاً .

أما العالم المخلص في عمله ، فيكتب ويقول ما (يجب) أن يسمع دافع

الأموال ، لأن كلمة العلم فوق كل كلمـــة ، ونعم الأمراء على أبواب العلماء ، وبئس العلماء على أبواب الأمراء .

إن أدعياء العلم ، وتجار العلم ، وعلماء السلطان ، لا مكان لهم في كتابة العسكرية الإسلامية ، لأنهم يضرون ولا ينفعون ، ويعمرون جيوبهم بخراب قلوبهم .

وأخـــيراً ، أن يكون العالم محافظاً على كرامة العلماء ، فكل مَنْ هَبّ ودبّ يستطيع أن يكون رئيساً أو مسؤولاً أو يتولى سلطة كبيرة ، ولكن ليس كل من هب ودب يستطيع أن يكون عالماً ، ويمكن أن تولي (المراسيم) أي شخص أي منصب ، ولكنها لا يمكن أن تجعل من الجاهل عالماً .

وما أروع قولة هارون الرشيد : « تكبر علينا علم مالك ، فاستفدنا منه » وما تكبر علم مالك على الفقراء ، ولكنه لم يستخذ لذوي السلطان .

إن العالم الذي يفيد حقاً في كتابة العسكرية الإسلامية ، هو العالم المتين في علمه ، العامل بعلمه ، المخلص بعمله ، المحافظ على كرامة العلماء ، المؤمن بأن العلم (عبادة) من أجلّ العبادات وليس (تجارة) من أربح التجارات .

وهؤلاء العلماء الأعلام ، إذا تعاونوا مع الضباط الذين ذكرنا مزاياهم ، فإن إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ستولد حَيَّة ، تفيد حاضر العرب ومستقبلهم ، وسيكون لها أثر وتأثير عظيمان في العقول والنفوس معاً ، وستؤتي ثمراتها مرتين بإذن الله .

أما إذا تعاون تجار العلم مع الضباط الملوثين عقلياً ، فإن إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ستولد ميِّتة ، لا تفيد صديقاً ولا تضر عدواً ، تفوح منها

رائحة الدرهم والدينار أكثر مما تفوح منها رائحة العلم ، ويكون مولدها من مصلحة أعداء العرب والمسلمين لا من مصلحة العرب والمسلمين .

[٤] المنهـــاج والأســـلوب :

(أ) لا أثق بتشكيل اللجان كثيراً ، وخاصة في القضايا العلمية ، فقد كان نصيب اللجان الإخفاق الكامل إلا نادراً .

لهذا أرى أن يقوم بإعادة كتابة العسكرية الإسلامية ضابط واحد فقط ، يعاونه في :

كتابة العقيدة الإسلامية مفسِّر واحد وفقيه واحد .

وكتابة المعارك العربية الإسلامية ، مؤرخ واحد ، وجغرافي واحد .

وكتابة قادة العرب والمسلمين ، مؤرخ واحد ، وجغرافي واحد أيضاً .

وكتابة الأسلحة العربية الإسلامية ، مؤرخ واحد ، ولغوي واحد ، ومهندس واحد .

وكتابة اللغة العسكرية العربية ، لغوي واحد ، وعالم واحد باللغة الإنكليزية ، وعالم واحد باللغة الفرنسية .

ويكون مع كل قسم من هذه الأقسام الخمسة إداريان : الأول كاتب على الآلة الطابعة ، والثاني منسِّق للكلمات والمفردات والتصحيح .

أما تحقيق التراث العسكري الإسلامي العربي ، فيوزع التراث على

اللغويين المختصين لإجراء التحقيق في دورهم ، وتوقيت الانتهاء من التحقيق ، ثم يبعثون التراث الذي حققوه إلى مقر هيئة إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ، لمراجعة التحقيقات وإخراجها للناس .

إن ضخامـــة عدد العاملين في هذا الحقل لا فائدة فيه ، وقد يؤدي إلى عرقلة إنجاز المشروع أكثر مما يؤدي إلى الإسراع بإنجازه .

وما يقال عن العاملين ، يقال عن الإداريين أيضاً ، والمهم هو تقسيم الواجبات بوضوح ، ومطالبة كل فرد بأداء واجبه .

أما أن نحشر الإداريين حشراً ، فهو يؤدي إلى ضياع المسؤولية ، وبالتالي إلى الإخفاق .

لقد كتبت قادة الفتح وحدي ، لا يعاونني أحد ، أعمل كل شيء بنفسي ، فأخرجت سلسلة قادة الفتح الإسلامي الأربع : قادة فتح العراق والجزيرة ، وقادة فتح بلاد فارس ، وقادة فتح بلاد الشام ومصر ، وقادة فتح المغرب العربي ، وهي مطبوعة .

وأنجزت حتى اليوم : قادة فتح السند وأفغانستان ، وقادة فتح ما وراء النهر ، وقادة فتح أرمينية ، وقادة فتح بلاد الروم ، وهي مخطوطة تنتظر أن أدفع بها إلى المطبعة قريباً إن شاء الله .

كما كنت رئيساً للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية التي أخرجت للناس أربعة معجمات موحَّدة سبق ذكرها .

والقادة واللغة أصعب كثيراً من أقسام العسكرية الإسلامية الأخرى ، وتجربتي هي التي أنارت لي الطريق في اقتراح منهاج العمل لإنجاز ما تبقى من هذه العسكرية .

ومن المهم إعداد المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية واللغوية ، التي تعين العاملين في هذا المجال للنهوض بمهمتهم على أحسن وجه وبأحسن طريقة وأسرع وقت .

وسنتان على الأكثر كافيتان لإنجاز ما تبقى من العسكرية الإسلامية .

(ب) **أما أسلوب إعادة كتابة العسكرية الإسلامية** ، فقد ذكرت شطراً منه فيما سبق ، وأسلوب إعادة كتابة العقيدة العسكرية الإسلامية ، والمعارك العربية الإسلامية معروف جداً ، والمهم فيه أن يكون عربياً إسلامياً لا مستورداً من الشرق أو الغرب الذي يعتمد أسلوب الإطناب الممل ، ولا أسلوب المتون الذي يعتمد الإيجاز المخل ، بل الأسلوب الوافي بالغرض . . البعيد عن الإطناب والإيجاز ، الذي يحافظ على الحقائق ولا يحمل القضايا ما لا تطيق ، والذي يمكن استنباط الدروس والعبر منه بسهولة ووضوح ، بدون استعمال الألفاظ الأجنبية الدخيلة ، والاكتفاء بالألفاظ العربية الأصيلة .

وقد حاولت أن أقرأ كل ما صدر من دراسات عسكرية حديثة في شتى أقسام العسكرية الإسلامية التي صنعها مؤلفون عرب ومسلمون ، وسأعرض ما لمسته في تلك الدراسات من انحراف .

فقد ذكر أحد المؤلفين المحدثين ، في دراسة خاصة بالحرب والسلام في الإسلام : أن لكل نبي معجزة ، فمعجزة موسى العصا ، ومعجزة عيسى شفاء المرضى الذين لا يُرجى شفاؤهم بإذن الله ، ومعجزة محمد (هكذا) الحرب !

وقد وقع هذا المؤلف فريسة سهلة بيد المؤلفين الأجانب من أعداء العرب والمسلمين ، فنقل مزاعمهم نقلاً ونسبها إلى نفسه .

والغريب العجيب أن أحد المؤلفين الأجانب نقل هذا الكلام عن المؤلف العربي المسلم ، وبنى عليه أباطيل مذهلة في السراب !!

ولو لم يكتب المؤلف العربي المسلم ما كتب ، لأسدى أعظم خدمة بسكوته للعسكرية الإسلامية ، ولكن سبق السيف العذل .

أما في مجال إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية ، فقد أكثر الذين أعادوا كتابتها في تحميلها ما لا تحتمل ، فاحتفظوا بأسماء المعارك ، ومسخوا فحواها مسخاً .

وإذا لم يستطع الذين يعيدون كتابة معارك الفتوح مثلاً أن يحتفظوا بالحقائق ويحافظوا عليها ، فالأفضل لهم وللعرب والمسلمين وللتاريخ وللعسكرية الإسلامية أن يُبقوا كل شيء على ما هو عليه .

إن من الصعب جداً أن نقارن بين معركة إسلامية جرت قبل أربعة عشر قرناً ، بمعركة حديثة جرت في الحرب العالمية الثانية مثلاً ، من ناحية التفاصيل والأساليب القتالية ، لأنها مختلفة في المعركتين اختلافاً بعيداً ، لاختلاف أنواع الأسلحة ووسائط النقل والمواصلات وتعداد المقاتلين ، وزج هذه المقارنة بهذه الطريقة الناشزة ، بمناسبة أو بدون مناسبة ، خطأ فاحش لا مسوِّغ له ، وقع فيه كثير من الذين حاولوا إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية ، فأساؤوا وهم يحسبون أنهم أحسنوا صنعاً ، لأنهم جعلوا من المعارك العربية الإسلامية ذنباً للمعارك الأجنبية ، وهي ليست ذنباً بل رأساً ، لأنها أقدم توقيتاً من المعارك الأجنبية ، وقد يقتبس الحديث من القديم ، والعكس ليس صحيحاً بل مستحيلاً .

ولكن يمكن مقارنة مبادىء الحرب في المعركتين القديمة والحديثة ، لأن المبادىء ثابتة ، والأساليب متغيرة .

وما يقال عن المعارك العربية الإسلامية ، يقال عن القادة العرب والمسلمين ، فلهؤلاء القادة سماتهم ومزاياهم التي تناسب عصرهم وعقيدتهم وسلوكهم وتقاليدهم ، فينبغي الإبقاء على تلك المزايا والسِّمات كما كانت عليه دون أن نبقي أسماءهم كما هي ونمسخ سيرتهم بإضافة مزايا وسمات جديدة إليهم لم يكونوا يعرفونها ولم يسمعوا بها ، ولو عادوا إلى الحياة لما تقبلوها .

لقد عاشوا قبل أربعة عشر قرناً ، والقادة الأجانب الذين عاشوا في القرن الحالي ، يختلفون عنهم في كل شيء تقريباً ، فإذا شبهنا قادة العرب والمسلمين بالقادة الأجانب كما يفعل قسم من المؤلفين المحدثين من العرب والمسلمين ، فقد قللنا من أقدار قادتنا ومنزلتهم ، وأسأنا إليهم من حيث أردنا الإحسان . .

وهذا ما لا يقبله العقل ولا يرتضيه المنطق ولا يُقرُّه الوجدان ويأباه القادة العرب والمسلمون .

(ج) ذلك غيض من فيض ، تتسم به الدراسات العسكرية الإسلامية ، أكتفي بذكر أمثلة منها وأترك الباقي للدارس العربي المسلم الحصيف .

ولا أريد أن أشق على القارىء في سرد تفاصيل تلك الانحرافات والأخطاء ، وحسبي ما ذكرته منها دليلاً على أنها ليست بالمستوى المؤمل .

وسبب هذه الانحرافات والأخطاء التي وقع فيها المؤلفون الأجانب ، هو التنفيس عن حقدهم الدفين على العرب والمسلمين ، بتزوير التاريخ وتشويهه ، واتهام الحضارة الإسلامية بتهم هي منها براء .

وانتقل الزور والتشويه والدس والافتراء إلى العقول العربية بالأستاذ الذي تخرج في الجامعات الأجنبية ، وبالكتاب الذي ألّفه المؤلفون الأجانب ، وبترجمة الكتب الأجنبية المريبة ونقلها إلى العربية دون تمحيص ، وبتدريس تلك الكتب في المؤسسات التعليمية العربية والإسلامية ، حتى استشرى التزوير والدس وشاع ، فأصبح بالنسبة للجهلة هو الحق الذي لا مراء فيه ، وبالنسبة للملوثة عقولهم بهذا الكذب الصارخ هو العلم الذي لا علم غيره .

وبالتدريج نقلت هذه الافتراءات في الكتب المؤلفة حديثاً ، عن حسن نية أو سوء نية ، لا فرق بينهما ، لأن النتيجة واحدة ، وهي أنها تثبت أن عقل المؤلف ملوَّث بالاستعمار الفكري البغيض ، وأنه مطية للأجنبي الحاقد شاء أم أبى ، وأنه جاهل بمصادره المعتمدة التي ينبغي أن يعتمدها في تأليفه ولا يعتمد المصادر الأجنبية المريبة .

وقد حدثتك عن المؤلف العربي المسلم الذي نقل فرية : « أن معجزة محمد هي الحرب » من المصادر الأجنبية المعروفة بانحيازها للصهيونية والصليبية والماسونية وتحيزها على العرب والمسلمين ، فالتقط هذه الفرية مؤلف أجنبي ونقلها فوراً عن المؤلف العربي المسلم ، ليدعي أن هذه ليست فرية بل حقيقة ثابتة يتداولها المسلمون فيما بينهم ويعترفون بها ، ويقرون بحقيقتها . . . وهو يعلم حق العلم أنها فرية مكشوفة ، زورها الأجانب الحاقدون ، واستوردها العرب والمسلمون الجهلة ، كما أنه يعلم حق العلم أن العربي الحق والمسلم الصحيح بعيد بُعد السماء عن الأرض عن مثل هذه الافتراءات التي لم يسجلها مصدر عربي إسلامي ، ولا رواها أو عرفها عربي ولا مسلم منذ جاء الإسلام حتى اليوم .

ومن أجل أن أذكِّر العرب والمسلمين بأهمية العسكرية العربية الإسلامية وضرورة إعادة كتابتها بأيدٍ أمينة قادرة ، من جديد .

ومن أجل أن أضع الطريقة المثلى لإعادة كتابتها أمام العرب والمسلمين .

ومن أجل أن أستثير همم علماء العرب والمسلمين ، ليعيدوا كتابتها لمصلحة حاضر العرب والمسلمين في كل مكان للاتجاه نحو غد أفضل .

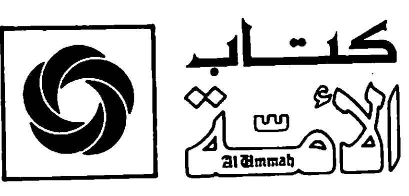
من أجل تحقيق كل هذه الأهداف الحيوية الرئيسة ، عكفت على تدوين هذه الدراسة ، داعياً الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم ، وأن يحقق الأهداف التي دُوِّنت من أجلها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

ورضي الله عن قادة الفتح وجنوده ، وقادة الفكر وجنوده ، وعن المجاهدين الصادقين ، وعن جميع الذين خدموا الإسلام شريعة وعقيدة ومُثُلاً عُليا ولغة وتراثاً .

الفهرس

الموضـــــوع	صفحة



هاتف: ٤١١٢٣٠٠
تلكس: ٤٩٩٩ الأمة د.هـ
برقيا: الأمة الدوحة
ص.ب: ٨٩٣ الدوحة. قطر

ثمن النسخة

قطر	٣ ريالات
السعودية	٣ ريالات
الامارات	٣ دراهم
عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس
الكويت	٢٠٠ فلس
العراق	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	١٥٠ فلساً
الأردن	١٥٠ فلساً
اليمن الجنوبي	١٥٠ فلساً
سوريا	١٥٠ قرشاً
لبنان	١٥٠ قرشا
مصر	١٥٠ مليما
ليبيا	٢٠٠ درهم
السودان	١٥٠ مليما
تونس	٢٠٠ مليم
الجزائر	ديناران
المغرب	درهمان

○ في باقي دول آسيا وافريقيا نصف دولار أمريكي أو ما يعادله

○ في الأمريكيتين وأوربا واستراليا وباقي دول العالم دولار امريكي أو ما يعادله

يطلب من وكلاء توزيع مجلة الأمة

مطابع الدوحة الحديثة